
التزوير الصهيوني للمسيحية
ماريا المعلوف
ORIENT
Printing & Publishing
2006 م - 1427 هـ

التزوير الصهيوني
للمسيحية

التزوير الصهيوني
للمسيحية

الناشر دار الشرق للطباعة والنشر

الدكتور المهندس نبيل طعمة

الطبعة الأولى

عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة

تاريخ النشر ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

طبع بموافقة وزارة الإعلام
رقم ٩٢٢٨١ تاريخ ٢٦/٦/٢٠٠٦



تقديــــم

تنبع أهمية ما أقدم له بكونه يضيف حقيقة جديدة بل جريئة إلى كل ما كتب عن الفكر الصهيوني الهدّام ومحاولاته الضاغطة لزعزعة الفكر الإيماني الحقيقي في اللاهوت المسيحي النقي الصافي الخلاق والبعيد عن التفاسير الصهيونية والمنسوبة لفلسفة العهد القديم المضاف في الأساس إلى العهد الجديد، إضافة تعطي فرصةً لهذا الفكر السلبي بإظهار قوة الارتباط مابين الفكرين التوراتي والإنجيلي وتعزيز التبعية المسيحية من خلال الولادة الأسروية والمحيط التكويني لنشأة السيد المسيح وانتشار رسالته في المحبة والسلام.

إن رسالة المسيحية الحقّة ما قامت إلا بقيامة السيد المسيح والتي يحاول اليوم الملايين من الذين خُدِعوا وتصهينوا في أمريكا الشمالية والذين تجاوزت أعدادهم عشرات الملايين وانخرطوا في صفوف ما يعرف اليوم في الحزب الجمهوري الأميركي المسيطر عليه من خلال طبقة الحاخامات الصهيونية الداعين لطرد المسيحيين والمسلمين من القدس العظيمة والتي ما كانت يوماً يهودية غايتهم تملكها وإعادة بناء هيكل التسلط واستعباد الشعوب من خلال رؤى أسطورية خالية يعيشها ويتمثلها قلة بل حفنة من الصهاينة المدّعين، غايتهم السيطرة على العالم وجعلها قاعدة انطلاق للتملك (تملك كل شيء على هذه الكرة) إن الله الحَقْ المتمجد في ملكوته لم يكن وحيه يوماً إلا لمحبيه ولم تكن رسائله إلا لكافة البشر ولم تشر أي رسالة وهي منه إلى تخصيص نوع

واحد من البشر، وإن الرفض البشري أجمع لفكرة الشعب المختار ونظرية أن الله خلق هؤلاء الصهاينة من جوهره وخلق باقي الخلق من نطفة حيوان ما هو إلا دليل على رفض كل ما كتب من خلال هؤلاء وسيكتب.

إن القدس عاصمة السماء فإليها أتى موسى زائراً ومندهشاً من عظمتها فكانت فيها استراحته وفيها جبل عيسى ابن مريم النقية وولد وعاش برسالة المحبة والسلام فتآمر عليه قتلة الأنبياء وصلبوه فكان صلبه راية المحبين وشعار السلام، ومنها عرج النبي العربي إلى السماء وصخرته المقدسة.

إنها وتد الأرض وحبل السماء يعتصم به الرسل والأنبياء والشرفاء والمؤمنون هذا ما أرادت باحثتنا الشابة عريقة الأصول عميقة الجذور ماريا معلوف، هذه الإنسانة الباحثة عن إنسانية الإنسان والضارية الجذور في مسيحيتها لتعيد المسيح، تبحث في كتابها وبحثها هذا عن الحقيقة فتشعل من خلاله شمعة غايتها إلقاء الضوء على ما يجري من تشويه وتزوير للحقيقة إنها مؤمنة في مسيحيتها مسلمةٌ في حركتها ينساب النور من قلمها فتقرأ الحقيقة الواجب علينا جميعاً أن نراها، شكراً ماريا فما كتبت كتب لنا، للبشرية جمعاء.

إن السيد المسيح بعودته سيقرأ اسمك من خلال أبحاثك إنقاذاً وإيماناً به وله من كل تشويه فسيباركك ونحن جميعاً نبارك لك.

الناشر

د.م. نبيل طعمة

❖ ❖ ❖

التزوير الصهيوني للمسيحية

ت- الدكتور جورج جبور .

ث- الدكتور فكتور عكاري .

ج- الدكتور جورجي كنعان .

ح- الدكتورة مهات فرح خوري .

خ- خلاصة الفصل الأول .

❖ ❖ ❖

تمهيـــد

الصهيونية المسيحية منظمة يهودية هدفها استغلال المسيحيين من جهة واستثمارهم للسياسة والاقتصاد من أجل إسرائيل من جهة ثانية.

والصهيونية المسيحية منظمة اخترقت المسيحية لتعمل على هدفها من الداخل، منطلقة في عملها من اعتبارات لا تتخلى عنها، ومنها:

أن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار.

أ- أن الله منحهم صكاً أبدياً للأرض المقدسة في فلسطين.

ب- جمع اليهود من أرض الشتات.

د- إنشاء وطن قومي يهودي لهم في أرض فلسطين.

هـ- إعطاء كلمة إسرائيل معنى دينياً رمزياً.

و- الالتزام الأخلاقي بدعم إسرائيل هو التزام ديني ثابت ودائم.

ز- اعتبار شرعية الدولة اليهودية مستمدة من التشريع الإلهي.

هذه المنطلقات والثوابت نادت بها الصهيونية المسيحية وروجت لها، اتخذت أبعاداً سياسية، دينية، اقتصادية راوحت بين التأييد والرفض، بين الاهتمام والإهمال، بين القبول بها والتصدي لها، بين الاعتراف بعناوينها واللامبالاة بمضامينها.

كل ذلك حرّك اهتمام الدارسين والباحثين في هذا الموضوع لكشف حقيقة الصهيونية التي يروج لها اليهود الأميركيون، لإظهار أخطارها

المتعددة الجوانب ليس فقط على الشرق الأوسط وفلسطين بالتحديد، ولكن على المجتمع الدولي بأسره، من هنا جاءت فكرة وضع هذا المؤلف، وكانت الانطلاقة وكان الكتاب الذي، بالإضافة إلى كونه مرجعاً يعود إليه القارئ للاطلاع والمعرفة، فإنه وثيقة تتضمن حلقة من أسرار الصهيونية العالمية التي لا يستطيع أي كان الحصول عليها والوصول إليها، وفهم أبعادها واكتشاف كوامنها.

❖ ❖ ❖

الفصل الأول

الصهيونية المسيحية

١- المقدمة

تقرأ الصهيونية المسيحية العهد القديم بطريقة حرفية وتتجاهل كلياً أقوال السيد المسيح الذي يقول في العهد الجديد ما يناقض هذه النظرة العنصرية المدمرة لدى هذه المجموعات الصهيونية التي ليست مسيحية على الإطلاق ، وهي ترى في تنبؤاتها أن مؤشرات عودة المسيح هي :

١ – قيام إسرائيل وعودة كل اليهود إليها .

٢ – إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى .

٣ – تعرض إسرائيل لهجوم كبير من كفّار مسلمين ومسيحيين غير مؤمنين بالعودة الثانية للمسيح .

٤ – نجاة إسرائيل من الكارثة بينما تذوب أجسام باقي البشر .

٥ – عودة المسيح الذي سيحكم العالم لمدة ألف عام بعدل وسلام حتى قيام الساعة .

وتدعي الجماعات الصهيونية المسيحية في أميركا وأوروبا أنها تتمسك بمبادئ دينية وأخلاقية مثل منع الإجهاض وضرورة التعليم الديني في المدارس ، لكن ممارستها تختلف تماماً عن شعاراتها الأخلاقية ، فقد ترافقت ظاهرة هذه الجماعات مع جرائم عدة ضد الإنسانية تبررها بأن العالم الذي نعيش فيه هو عالم فاسد بمجمله ، ولذلك لابد من الخلاص منه حتى يأتي السيد المسيح ويحكم عالماً نظيفاً لمدة ألف عام ، ولذلك تخطط هذه المجموعات للتخلص ممن يسمونهم اليهود البشر من غير

اليهود أو الحيوانات الناطقة ، وصولاً إلى عمليات اختطاف الأطفال والنساء واغتصابهم وتعذيب يسبق القتل بطريقة منتشرة بكثافة في الولايات المتحدة . وبحسب تقديرات الـ FBI الأميركية يوجد أكثر من مليوني مسلح من الجماعات الصهيونية المسيحية يمارسون التعذيب بطريقتهم الخاصة ، كما يعمدون إلى قتل أي امرأة تجهض أو أي طبيب يجري عملية الإجهاض ، ويقفلون بقوة المستشفيات التي تجري فيها هذه العمليات .

ومعروفة قصة المبشر الصهيوني (جيمي بيكر) الذي تلقّى حكماً بالسجن بسبب اغتصاب سكرتيرته ، وأقفل معهده الديني الذي يدرّ عليه ثلاثمائة مليون دولار سنوياً ، وكذلك قضية المبشر (جيمي تاكرت) الذي سجن بسبب عمليات اغتصاب وتعذيب . هذا في أميركا ، أما في أوروبا فالبارز مناقشة مجلس النواب الألماني لنشاط ثمانمائة مجموعة صهيونية تمارس التعذيب واغتصاب النساء ، وتقرير للجنة برلمانية في ألمانيا أن عدد الضحايا تزايد ومعظمهم من المخطوفين والنسوة اللواتي يغتصبن ، إضافة إلى ذلك يأتي التزوير المالي الذي تحدثت عنه مجلة (درش بيجل) في تشرين الأول عام ٢٠٠١ ووصفت أولئك المجرمين بأنهم مجموعة من المتعصبين الذين يكرهون العالم الحديث ، ويقاتلون ضد سكانه ، أملاً ببناء عالمهم الخاص كما يرونه في العهد القديم .

٢ - تفسير الصهيونية للعهد القديم

كان تفسير العهد القديم على طريقة الصهيونية المخالفة لرسالة المسيحيين عاملاً أساسياً في تقرير السياسة الخارجية الأميركية .

فالولايات المتحدة أول دولة اعترفت بإسرائيل ، وترافق ذلك مع إعلان مسؤولين أميركيين كبار ، في طليعتهم رؤساء جمهوريات بأن قيام الكيان الصهيوني هو تحقيق لنبوءة التوراة . ولم تكن فكرة بناء الهيكل قد قويت قبل نشاط الجماعات الصهيونية المسيحية في العديد من الولايات الأميركية ، ودورها الرئيسي في تأييد أو محاربة الرؤساء أخذ يجتذب أصوات هذه الجماعات بإطلاق تصريحات والتزامات أميركية ترضيهم وترضي إسرائيل . ومن الجهود الأخيرة لهذه الجماعات ما حصل عام ٢٠٠١

حين سعى شارون في زيارته لواشنطن إلى نيل موافقة الرئيس بوش على استمرار العمليات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ، ولما رفض بوش ذلك تحركت الجماعات الصهيونية وعقدت اجتماعاً في السفارة الإسرائيلية ، توجه بعدها وفد من هذه الجماعات إلى البيت الأبيض أعلن أعضاؤه قائلين : إذا لم يسمح بوش لشارون بالاستمرار في العمليات الإسرائيلية فسوف ندمّر رئاسته مثلما دمرنا رئاسة أبيه ، وأخذوا آلاف الرسائل عبر البريد الإلكتروني قائلين فيها نرجوكم اتركوا شارون يصفّي الإرهاب في فلسطين .

وعندما تحدث الرئيس بوش عن تأييد الأميركيين لقيام دولة فلسطينية ، تحركت مائتا منظمة مسيحية صهيونية تمثل أربعين مليون أميركي ، طالبين من بوش التراجع عن موقفه ، وصرفوا مئات ألوف الدولارات في حملات ضد السلطة الفلسطينية والمقاومة معتبرين أن موقف الرئيس الأميركي معادٍ لنصوص التوراة التي تقضي ، في رأيهم ، بطرد الفلسطينيين وتهويد كامل فلسطين ، ومنذ الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر تضغط هذه الجماعات عبر فريق العمل العسكري الأميركي الذي يحيط بالرئيس بوش والبنتاغون ، كي يشن الحرب فوراً ضد العراق وسوريا ولبنان وإيران . وتشكل هذه الجماعات جزءاً حيوياً من الحزب الجمهوري الذي يتعاطف مع الشعارات المعادية للعرب .

٣ - العلاقة مع الإدارة الأمريكية

يتعزز الحلف بين الإدارة الأميركية وإسرائيل بفضل ازدياد نشاط الجماعات الصهيونية المسيحية ، خصوصاً منذ أن تولى حزب الليكود تحالفهم مع المجموعات الصهيونية المسيحية داخل أميركا ، علماً أنه عندما أشرف أرييل شارون على صبرا وشاتيلا ، طلب رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن إلى الأصولي الصهيوني الشهير (جيري فالويل) أن يرأس وفداً من حركة الصهيونية المسيحية لتطويق ردود الفعل في أميركا ضد المجزرة . وتبع ذلك مهرجان في واشنطن حضره محافظ القدس (أولمرت) في وقتها ورئيس الحكومة الحالي ، وقد بعث الرئيس بوش تحياته خلال

المهرجان الذي ندد بأي انسحاب إسرائيلي من الضفة وغزة ، والذي قال فيه بيترسون إن على أميركا أن تدعم إسرائيل للحفاظ على القدس عاصمة موحدة وإخراج فلسطين مما يسميه الأراضي اليهودية المقدسة .

٤ - سلوك الصهاينة المسيحيين

في الوقت الذي تتجاهل فيه السلطات الأميركية نشاط الجماعات اليهودية المسيحية المسلحة بالدبابات والقذائف ، نقلت وكالات الأنباء أخبار الاعتقالات التعسفية في صفوف العرب والإيرانيين بموجب برنامج أميركي جديد يسمى مكافحة الإرهاب ، حيث يجري تفتيش هؤلاء بصورة غير إنسانية ويجردون من ملابسهم ويحتجزون في غرف تصل درجة حرارتها إلى مستوى التجميد في جنوبي كاليفورنيا ، ما جعل ائتلافاً أميركياً للحريات الدينية مؤلفاً من تسع جماعات يطالب وزارة العدل الأميركية بإلغاء برنامج ما يسمى مكافحة الإرهاب ، واصفاً إياه بالمعيب والمضلل ، ولا يفعل شيئاً لتعزيز الأمن ، بل يضر بصورة أميركا في العالم ، مثلما يضرُّ بها نشاط الجماعات الصهيونية المسيحية .

٥ - موقف الصهاينة من فلسطين

سبعون مليون صهيوني أميركي أو أكثر يحاولون تزوير رسالة المسيحية السامية ويتجلببون بثيابها ، ويطلق عليهم اسم حركة صهيونية المسيحية ، وأغلبيتهم في الحزب الجمهوري يطالبون بطرد الفلسطينيين العرب ، مسيحيين ومسلمين ، من فلسطين إلى البلاد العربية ، ويدعون إلى تدمير المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه ، وإلى نقل السفارة الأميركية إلى القدس ، والحفاظ على المدينة المقدسة عاصمة واحدة موحدة حكراً ليهود العالم ، وعندما أعلن جورج بوش قبولاً مبدئياً بدولة فلسطينية ، وعندما زار كولن باول ياسر عرفات للضغط على شارون كي ينسحب من المدن الفلسطينية ، تحركوا في حملات معادية مطالبين بتوسيع الحرب ضد الفلسطينيين وصولاً إلى الحروب ضد العراق وسوريا ولبنان وإيران ، مجموعات مهووسة متعصبة

ترفض المساجد والكنائس وتعتبر أن المستوطنين الإسرائيليين في الضفة وغزة هم اليهود الوحيدون الذين يطيعون السماء ويسمعون كلمة الله .

أما المسيحي الذي يطالب بوقف المجازر الإسرائيلية ضد الفلسطينيين أو الذي يدعو إلى سحب القوات الإسرائيلية ، فهو ليس مسيحياً في عقيدتهم ، كما أن اليهودي الذي يقبل بحكم ذاتي ولو بحدود للفلسطينيين لا علاقة له في نظرهم بالتوراة ، ولذلك قالوا عن بيل كلينتون ، عندما وقّع مع ياسر عرفات وإسحاق رابين في أوسلو معاهدة تسلم بموجبها الضفة الغربية وغزة إلى الفلسطينيين ، إنه ألد أعداء المسيح .

والسؤال لماذا تسكت الإدارة الأميركية عن الميليشيات الصهيونية المسماة تجاوزاً مسيحياً ، والتي تزرع الإرهاب داخل أميركا نفسها بأسلحتها ودباباتها وانتحارييها ومتفجراتها التي استخدمت في أحداث الحادي عشر من أيلول؟ ما هي هذه الصهيونية المسيحية النشطة في الولايات المتحدة والمتحالفة مع اللوبي اليهودي ضد العرب والمسلمين والمسيحيين لصالح اليهود وإسرائيل؟ ماذا تريد؟ أي حروب تحضّر؟ ولماذا تدفع أصحاب القرار في أميركا ، سياسيين وعسكريين إلى مغامرات عسكرية تؤسس لحرب عالمية ثالثة ، تراها مع إعادة بناء الهيكل المقدمة الضرورية لما تسميه عودة المسيح .

٦ – رواد الصهيونية المسيحية في أميركا

إن أكثر من ثلاثين ولاية من ولايات أميركا الخمسين ينتشر فيها الأصوليون من المسيحيين المتهودين ، يجمعون تبرعات لإسرائيل ولقيام الهيكل تفوق مئات ملايين الدولارات ولا يدفعون ضرائب الدولة ، وهم يسيطرون على ثمانين ألف كنيسة وغيرها من أماكن العبادة ، ويديرون أربعة آلاف محطة إذاعية وتلفزيونية ويموّلون كتباً ومحاضرات ولوحات فنية ملائمة لمعتقداتهم .

أ – فرانكلين غراهام

من رواد الصهيونية المسيحية ، وهو ابن القسيس الأميركي بيلي غراهام ، عمل والده قسيساً خاصاً للرؤساء الأميركيين منذ عهد ريتشارد نيكسون حتى الرئيس

الأميركي بيل كلينتون ، ويتولى فرانكلين غراهام الآن المهمة نفسها مع الرئيس بوش بعد تقاعد الأب .

قام بالمراسم الدينية لتنصيب جورج بوش الابن ، إضافة إلى توليه المسؤوليات الكنسية كافة التي أنشأها بوش الأب ، والتي تعدّ من أكبر الكنائس الأميركية عدداً وتأثيراً . وقال في حديث أخير له إن الإرهاب أمر أساسي في الإسلام ، ما أثار غضب جاليات إسلامية مسيحية في الولايات المتحدة ، كما اعتبر أن الإسلام شر ، ما أوحى للرئيس بوش بأن يستخدم عبارة محور شر شمل العراق وإيران .

ومن رواد الصهيونية المسيحية أيضاً جيري فالويل ، وهو قسيس إنجيلي له برنامج أسبوعي إذاعي وتلفزيوني ، ويملك جامعة خاصة أصولية تسمى جامعة الحرية ، إضافة إلى موقعه الخاص على الإنترنت الذي يسخّره للهجوم على الإسلام ، ووصف المسلمين والعديد من الفرق المسيحية بأنهم (أعداء المسيح بيننا) كما قال .

ب- بات بيترسون

يدافع عن الصهيونية المسيحية في الوقت الذي يرفض المعمودية للأطفال على أساس أنها تجري دون إرادتهم كما يقول ، ويرفض أي حوار مع الكاثوليك الذين يحاربهم كما يحارب المسلمين ، وخصوصاً الفلسطينيين الذين يقول عنهم إنهم غرباء عن فلسطين ، قائلاً إن أميركا يجب أن تعطيها لليهود لا للفلسطينيين ولا للسوري ولا للسعودي ، فهي ملك أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب من خلال يشوع بن نون ، وإن مملكة إسرائيل وصلت إلى نهر الفرات وصور وصيدا ومن دمشق إلى القاهرة إلى غزة .

ولعب دوراً رئيسياً في تقديم مشروع قانون محاسبة سورية إلى الكونغرس ، رغم أنه يزعم ضرورة الفصل بين الدين والدولة ، فإنه ينادي بأن تراقب سياسة الولايات المتحدة لمنع أي اتجاه لصالح العرب والفلسطينيين .

ج- بيج روبرتسون

قسيس إنجيلي معروف باهتماماته السياسية وتأييده المطلق لإسرائيل ، تقدّر ثروته بـ ١٤٠ مليون دولار ، بينها قصر فخم وفندق درجة أولى ومناجم للبحث عن الماس وشركات ترفيهية .

صادق العديد من الدكتاتوريين والقتلة والمجرمين ، منهم الجنرال جورج سيرانو رئيس غواتيمالا السابق الذي اتهمت لجنة العفو نظامه بألفي حادث قتل ، وبينها دفن أو حرق الأحياء وقطع رؤوسهم واستخدام أمعائهم ، ومع ذلك وصفه روبرتسون بالجنرال النزيه .

ومنهم ديكتاتور زائير (موبوتوسيسيكو) الذي أفقر شعبه ليصبح أحد أكبر أغنياء العالم ، ومع ذلك يدافع عن روبرتسون ، ذلك أنه حصل بفضله على مبالغ طائلة من صفقات الماس وأسس بمعرفته الشركات الأفريقية للإنماء ، ورافقه في رحلات بحرية شيروبا الذي عقد معه روبرتسون صفقات مالية ، وبات مالكا للعديد من المؤسسات ، بينها مؤسسات إعلامية ومحطة فضائية تصل إلى تسعين دولة في العالم بأكثر من خمسين لغة ، يصف روبرتسون الهندروسية بأنها دين الشيطان وشر بلاء الهند ، ويرى أن الذين يؤمنون باليهودية المسيحية هم الذين يجب أن يحكموا أميركا لا الهندوس ولا المسلمون ، متوقعا أن تكون الصهيونية المسيحية أقوى حركة سياسية في أميركا خلال عشر سنوات وتمنع حكم الكف ار للولايات المتحدة .

٧- دور الجماعات الصهيونية في الإدارة الأميركية

بدأت الجماعات الصهيونية باختراق مركز الرئاسة الأميركية دوائر البيت الأبيض منذ رئاسة جيمي كارتر ، الذي عبر عن حقيقة الترابط العضوي بين الصهيونية المسيحية واليهودية وبين أميركا وإسرائيل ، وذلك في خطاب ألقاه كارتر أمام الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٧٩ ، قال فيه : إن علاقة أميركا بإسرائيل متأصلة في وجدان وديانة ومعتقدات الشعب الأميركي . أما الرئيس رونالد ريغان فقال للإنجيلي (هارود بيرسون) إن إعادة توحيد القدس تحت علم الصهيوني هو تحقيق لنبوءة إنجيلية ، وأشاد ريغان بالأسطورة اليهودية القائلة إن مذبحة كبرى يجب أن تسبق عودة المسيح الثانية ، وإن إسرائيل هي البقعة الوحيدة التي يمكن أن تشكل محور هذه المذبحة . وتعززت علاقة ريغان مع الصهيونية المسيحية بتطوير شبكة الدفاع الصاروخي الأميركي ، وهي الفكرة التي يدعمها الجناح اليميني المسيحي المحافظ في

الحزب الجمهوري . وقال ريغان لقيادات من الصهيونية المسيحية : أنتم لا تستطيعون أن تعتبروني منكم ولكنني أعتبركم مني ، ووصل الأمر بالرئيس ريغان أن اعتبر ليبيا قوة الشر التي ستهاجم إسرائيل وتحقق بالتالي المذبحة التي يعتقد الصهاينة المسيحيون أنها تسبق عودة المسيح .

وفي عهد الرئيس بوش الأب قوي تيار الصهيونية المسيحية ، وازداد رسوخاً في عهد الرئيس بوش الابن الذي وصفه باحث بأنه أصولي مسيحي يؤمن بأن قطاع غزة والضفة منحة ربانية لليهود لا يجوز التنازل عنها ، وهو الذي قال للصحافي (جيم رهلر) إنه يبدأ يومه بقراءة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، ثم إطعام كلبه وإعداد الطعام لزوجته ، ولطالما ردد أن اليهود هم شعب الله المختار الوحيد على وجه الأرض . ولذلك كان بوش الابن أول من خصص جزءاً ملموساً من ميزانية الدولة الأميركية لتعليم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، علماً أن التيار الصهيوني المسيحي شن حملة عنيفة على الرئيس كلينتون متّهماً إياه (أنه ألد أعداء المسيحية) ، والسبب أن كلينتون هو الذي أشرف على توقيع اتفاق غزة أريحا ، وفيما بعد اتفاقية أوسلو بين رابين وعرفات ، والتي نصّت على تخلّي إسرائيل عن الجزء الأكبر من الضفة إلى غزة اللتين يسميهما اليهود (يهودا والسامرة) ، ذلك أن التخلي عن هذه الأراضي عصيان لله الذي وعد اليهود بكل أرض الميعاد من نهر مصر إلى نهر الفرات .

ومنذ عهد الرئيس كارتر الذي كان يتأثر بنصوص العهد القديم ويستشهد بها ، والذي قرأ جزءاً منها لدى توقيع اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل ، والصهيونية المسيحية تدخل البيت الأبيض وملحقاته بقوة ، وتؤثر في مجرى السياسة الأميركية لصالح إسرائيل وضد العرب ، علماً أن أحد قادة الصهيونية المسيحية بيل غراهام هو الذي أدى صلاة الاحتفال لدى أداء القسم للرئيس كلينتون حين تسلم رئاسة أميركا ، وأقسم جورج بوش الابن اليمين أمام غراهام الابن الذي أعلن بعد ١١ أيلول الإسلام ليس فقط مصدر إرهاب ، وإنما الشيطان نفسه! .

أمام هذه الحوارات حول الصهيونية المسيحية ومخاطرها يبدو بوضوح أنه لم يعد هناك أمام العرب التحدي الذي يشكله قيام إسرائيل والضغوط التي يمارسها اللوبي

اليهودي ، فهناك أيضاً قوى مساندة رئيسية تتضامن مع الكيان ، ومع يهود أميركا في آن معاً من أجل خلق جو عسكري ينذر بحروب متواصلة ضد العرب ، وأحياناً بمساعدة ودعم بعض العرب وسط مواقف عربية واضحة ، بعضها يرفض الباطل وبعضها يسكت عنه ، وبعضها يدعمه علناً طمعاً في قطف ثمار الحرب .

إنها الصهيونية المسيحية لكن المسيحية منها بريئة ، وتنتشر أفكارها وتفسيراتها في الولايات المتحدة داعية إلى شن الحروب وطرد السكان الآمنين من ديارهم بما يناقض الأسس التي قامت عليها المسيحية والتعاليم التي بشر بها المسيح بين الجميع ، وفي مساواة كاملة تتناقض مع فكرة (الشعب المختار) .

وصف السيد المسيح سلوك اليهود الذين تآمروا عليه فيما بعد ، بأنهم قتلة الأنبياء الذين يرجمون بالحجارة كل المرسلين إليهم قائلاً : أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من عقاب جهنم ، ورفض فكرة الشعب المختار قائلاً : إن الله لا يخص أحداً بالرعاية لوحده ، فالشمس تسطع على الجميع سواء بسواء . وبعد أن لعن سبع لعنات فقهاء العهد القديم ختم بهذا الحكم المبرم عن الهيكل : (هو بيتكم يترك خراباً) ، وخرج المسيح من الهيكل فقال لهم : أترون هذا الحق أقول لكم لن يترك هنا حجر على حجر بل ليهدم كله ، مؤكداً أنه يستطيع تدمير المعبد وبناءه من جديد في ثلاثة أيام ، مشدداً على أنه ينبغي أن يطاع الله لا أن تطاع التوراة ، وأن السبت خلق الإنسان ولم يخلق الإنسان للسبت ، وخاطب تلاميذه قائلاً : أنا أرسلكم مثل الخراف بين الذئاب .

وقد قامت المسيحية على مساواة بين الناس في رسالة محبة وتسامح وغفران ، والذي يطلع على أدبيات المجموعات الصهيونية المسيحية بكل ما تدعو إليه من حروب وحرائق باسم المسيح يجد فيها النقيض تماماً لما جاء في تعاليم المسيح السامية ، ولذلك درجت هذه المؤسسات على تكفير مسيحيي العالم الذين يشاركونها كل تفسيراتها الخاصة للكتاب المقدس ، وتمكنت من إيصال هذه الأيديولوجيا إلى القيادات الأميركية .

٨- جماعات بناء الهيكل

إلى جانب الحملات الصهيونية المسيحية لتدمير المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل ، وهناك امتدادات لها في إسرائيل التي تنشط فيها جمعيات يهودية تعمل لهذا الهدف هذا بعضها :

– الجماعات اليهودية الساعية لبناء الهيكل :

* جماعة غوش أمونيوم (كتلة الإيمان) .
* منظمة تيسفات أتريت (أي التاج الكهنوتي) .
* حركة الاستيلاء على الأقصى .
* منظمة سيودس تسيسون .
* مجموعة آل هار هاشم (أو جبل الله) .
* حزب هتحيا ، أي النهضة الصهيونية .
* مؤسسة هيكل القدس التي يشارك خمسة من المسيحيين الإنجيليين في هيئتها الإدارية .
* منظمة بيتار .
* مجموعة حشمونائيم التي حاولت تفجير قبة الصخرة عام ١٩٨٢ .
* حركة أتسومت التي أنشأها رئيس الأركان السابق رافائيل إيتان .
* حركة آمنا .
* قبيلة يهودا المشهورة بعصابات لفتا التي حاولت نسف المسجد الأقصى وقبة الصخرة .
* حركة كاخ ، التي نفذ أحد أفرادها هجوماً على الأقصى عام ١٩٨٢ .
* جمعية صندوق جبل الهيكل ، وهي جمعية صهيونية مسيحية مقرها في كاليفورنيا ، مؤسسها الثري الأميركي تيري أرنهوفر .
* حركة الموالون لساحة العبد .

* رابطة سيوري تسيون .
* حركة عتسمؤون .
* حركة تنظيم سرّي داخل الجيش .

٩- تهويد القدس

وهكذا في مواصلة إسرائيل الحفر في محيط وأسفل المسجد الأقصى ما يؤثر على أساس المسجد والعمارات الإسلامية المحيطة ، في وقت أكد فيه مفتي القدس أن كل ما تم اكتشافه هو عبارة عن مجرى مياه قديم لا يمت إلى التاريخ بصلة ، ويترافق ذلك مع مخطط إسرائيلي لتهويد القدس بالكامل يفترض أن ينتهي عام ٢٠١٥ بمليون يهودي يقيمون داخل المدينة المقدسة ومحيطها .

بعد احتلال كامل القدس بدءاً من حرب ١٩٤٨ أو ١٩٦٧ ، استولت إسرائيل على حائط المسجد الأقصى (حائط البراق) ليكون مكاناً يصلّي فيه اليهود ، وبدأت بتغيير معالم المدينة بفرض تهويدها ، وطرد متواصل للسكان العرب وتوطين اليهود مكانهم . وفي العام ١٩٦٩ قامت مجموعات يهودية بمحاولة إحراق المسجد الأقصى وتنفيذ حفريات وأنفاق تحت المقدسات وهدم آثار تاريخية ، في محاولة شكّلت محطة خطيرة في تاريخ المدينة المقدسة ، وبدأت المساعدات والتبرعات تتدفق من أميركا وأوروبا ، وخصوصاً بريطانيا بدعم من الجمعيات الصهيونية المسيحية ، وأنشئ في القدس القديمة معهد خاص لإمداد الكهنة الذين يخدمون في الهيكل الثالث الذي تنوي الجمعيات الصهيونية المسيحية إقامته بعد تدمير الأقصى . وتستمر محاولات البحث عن بقايا الهيكل الذي يزعم اليهود أنه هناك ، علماً أنه رغم هذه المحاولات لم يعثر على أي موقع يهودي ، ما يبطل الزعم القائل بوجود الهيكل تحت المسجد الأقصى الذي يجري تفريغ الأتربة والصخور من تحته لجعله قائماً على فراغ ، ويذكر أنه من ضمن لفت الأنظار إلى الهيكل زيارة شارون الأخيرة للحرم والقدس ، والتي أدت إلى انطلاق الانتفاضة الثانية المستمرة حتى الآن .

هناك مائة مليون بروتستانتي في أميركا ينتمون إلى نحو خمسمائة طائفة وجماعة بأسماء مختلفة ، لكن أكثر من نصف هذه الطوائف التي يقدر عددها بنحو أربعين مليون نسمة لديهم ارتباط بما يسمى بالمسيحية المهودة أو الصهيونية المسيحية ، ويشكلون مجموعات كبرى من القوى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تحّرض الإدارة الأميركية ضد العرب والإسلام ، وحتى ضد العديد من الفرق المسيحية الأخرى التي توافقها الرأي . وتقف هذه المجموعات أيضاً وراء خطط دعم إسرائيل وتزويدها بالمعونات والقروض والسلاح والتكنولوجيا حتى وصل تأثيرها إلى أعلى مراكز السلطة ، وقال عنها بنيامين نتنياهو في خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، إن أفكارها أشعلت خيال وهمة قادة تاريخيين مثل (لوي جورج) و(آرثر برفور) من الذين لعبوا دوراً رئيسياً في قيام إسرائيل ، حتى أن وزير الدفاع الأميركي (دونالد رامسفيلد) رسم في أطروحة الدكتوراه (سيناريو الحرب) ما يسميه قوى الخير أو إسرائيل وقوى الشر ، ولدرجة أنه تنبأ قبل سنوات أن أسامة بن لادن وجماعته سيقومون بهجوم كبير ضد نيويورك ، ورغم ذلك فإن أحداً لم يتحرك قبل أحداث الحادي عشر من أيلول للتحقيق ، ما يشير إلى دور رئيسي للجماعات الصهيونية المسيحية في تلك الأحداث ، وهي التي تعد ميليشياتها بالآلاف ، وتمتلك أسلحة ودبابات ولها سوابق مثل أوكلاهوما ، وهدفها الرئيسي دفع الإدارة الأميركية نحو حروب متواصلة تحقيقاً لتفسير خاص لديها بأنه إذا لم تقم الحروب ضد قوم تسميهم قوى الشر ، وإذا لم تطرد الفلسطينيين بالكامل ، وإذا لم تدمر المسجد الأقصى لتقيم مكانه الهيكل اليهودي ، فإن المسيح لن يعود ثانية ، وإن كل من يمنع هذه العودة ، وعلى رأسهم الفلسطينيون والعرب والمسلمون عموماً وحتى أغلبية المسيحيين الذين يرفضون الهيكل اليهودي ، هم في نظر هذه الجماعات كفّار يجب سحقهم بالكامل .

١٠- آراء الباحثين في الصهيونية المسيحية

أ - ميلاد حنا ، الأستاذ في كلية الهندسة ، جامعة عين الشمس

عضو مجلس الأعلى للثقافة ، كاتب في الأهرام ، حاز على جائزة سيمون بوليفار الدولية من الأونيسكو عام ١٩٩٨ التي أخذها نيلسون مانديلا ، حاز على

جائزة الدولة التقديرية من مصر عام ٢٠٠٠ في حديث عن تاريخ الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة منذ القرن السادس عشر ، عندما طلب إليه أن يحدد الصهيونية المسيحية وطروحاتها وكيف نشأت أصلاً وخصوصاً في الولايات المتحدة ، وعن مواقف المسيحيين العرب في أميركا ومدى توافقها أو تناقضها مع تعاليم السيد المسيح ، خصوصاً لجهة العودة الثانية وبناء الهيكل ، وكيف يصف كرجل سياسة العلاقة الوثيقة بين اللوبي اليهودي في أميركا ، ومنه أطراف تدعى العلمانية ، وبين التيارات الصهيونية المسيحية ، أجاب إنه لا توجد علاقة مباشرة ، وإن اللوبي اليهودي هو عبارة عن جمعيات يهودية بحته تعمل على تأييد إسرائيل ودعمها بكل السبل الممكنة ، ومنها تمويل انتشار اليهود والفكر اليهودي الصهيوني في بعض الفرق والمذاهب البروتستانتية في أميركا . لكن هذا الأمر يعدله من الجانب الآخر بعض الفرق البروتستانتية مثل كنيسة المشيخية وغيرها التي تقاوم ، والتي قامت بتشكيل هيئة معينة تجمع هذه المذاهب وتسعى إلى التعاطف مع القضية الفلسطينية في مواجهة الصهيونية . منذ ظهرت البروتستانتية سنة ١٥٣٤ على يد مارتن لوثر أعطى حق تفسير الكتاب المقدس لأي فرد ، منذ هذا الوقت أصبح من الممكن لأي إنسان أن يطلع على النصوص في العهد القديم أو الجديد ويفسرها .

بعد لوثر اتجهت البروتستانتية إلى إنكلترا ، حيث ترعرعت في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، ووعد بلفور الذي كان في العام ١٩١٧ لم يظهر من فراغ ، فثمة إرهاصات قبله كانت تطالب المسيحيين في إنكلترا بأن يعملوا على توطين اليهود في فلسطين وأرض الميعاد . أما المسيحية الصهيونية في أميركا فهي حديثة نسبياً ، بمعنى أن عمرها لا يزيد على مائة عام .

وأستطيع أن أقول كرجل سياسي إن نحو نصف الفرق البروتستانتية في أميركا وليس جميعها نشأ فيها تعاطف مع المسيحية الصهيونية ، في حين أن الباقي تعاطف مع القضية العربية والفلسطينيين ، ضمن هنا جاء اختراق اليهود من الناحية اللاهوتية لبعض الفرق الميثوديست والخمسينيين وشهوذ يهوه وغيرها ، وهذه الفرق المسيحية ترى أن جزءاً من دعوتها هو تحقيق النبوءات الموجودة في الكتاب المقدس تحقيقاً حرفياً .

وحين طرح عليه السؤال التالي : كيف يقبل الأميركيون ازدواجية الولاء في نظريات الأصولية الصهيونية ، حيث إن الذين يعلنون ولاءهم لإسرائيل هم بالنهاية أميركيون؟ أو ليس في هذا مخالفة للدستور الأميركي الذي يفرض الولاء لأميركا ومصالحها قبل مصالح الآخرين؟

أجاب ميلاد حنا : إن الإنسان كائن معقد ليس سهلا ، فأنا على سبيل المثال مصري جدا وعربي جدا وقبطي جدا ، فلا يوجد عندي تناقض بين الثلاث . هذا الأميركي الذي نتحدث عنه هو أميركي جدا وفي نفس الوقت مسيحي متدين ، وهذا التدين المسيحي الخاص به هو يؤمن به وبالمسيحية ويرى أن هذا جزء من الديانة المسيحية ، بما ينتهي عنده إلى انتظار المجيء الثاني للسيد المسيح الذي لن يتحقق في رأيه إلا عندما تنشأ دولة إسرائيل .

وأسأل ميلاد حنا : ينص الدستور الأميركي المساواة التامة بين جميع الناس ، فكيف تسمح الإدارة الأميركية والقضاء الأميركي بمثل هذه المجموعات للحديث عن شعب مختار مقابل شعوب أقل أهمية؟

أليس هذا عنصرية واضحة يرفضها الدستور؟ كيف تفسرون تجاهل السلطة والقضاء لهذا الواقع؟ ليس فقط التوجه الليبرالي يسمح بنمو هذه التيارات ، ولكن ألا تجد أن التركيبة الاجتماعية الأميركية المتعددة الأعراق لها علاقة؟

ويجيب ميلاد حنا : هذا السؤال يفترض أن يوجه إلى الأميركيين أو المسؤولين الأميركيين ، وأنا أنظر إلى الظاهرة وأدرسها ، فأنا لا أستطيع أن أدعي بأن الأميركيين لا يمكن أن يكون لهم ولاء لإسرائيل بدعوى أن هؤلاء أميركان والولاء الخاص بهم لأميركا فقط ، ونحن كعرب يجب أن ندرك هذه الحقائق حتى لا نعيش في حالة وهم .

السياسة لا يمكن أن تبنى إلا على معرفة ما يجري مثلا في إنكلترا ، ما هو الرأي العام في الصين ، ما هو التوجه في فلسطين . . الخ .

وحيث أن أميركا أصبحت هي التي تقود العالم الآن علينا أن ندرس ما الذي يحصل في أميركا ، فعلى سبيل المثال هناك ما يزيد على ألف قناة تلفزيونية دينية البعض منها يروج للفكرة الصهيونية .

لقد رسمت الأصولية المسيحية صورة خاصة في أذهان الأميركيين ، وهو توجه جديد بدأ في الظهور ، وقبل ذلك في البداية لم يكن هناك إلا الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا ، والكنيسة الأرثوذكسية أساساً في المشرق وروسيا واليونان وأرمينيا وغيرها . فعندما ظهرت في القرن السادس عشر فكرة البروتستانتية ، أصبح حق البروتستانتية واللوثرية والمشيخية يمثلون البروتستانتية ، عندما يقومون بأي تغيير ولو صغير في الفكر ينشئون مذهباً جديداً ، فظهرت المعمدانية وغيرها ، فالفكرة الليبرالية الموجودة في أميركا تسمح بظهور مذاهب جديدة وهذا جزء يعتبر من الليبرالية ، علماً أن ليس هناك لا يوجد دين ، لا توجه فيه جذور اليهود ، مثل المسيحية والبروتستانتية وكل المذاهب الأخرى ، والإسلام وجميع طوائفه ، واليهودية والبوذية وسواها ، فالمجتمع الأميركي طبيعة متعددة الأعراق والأديان والمذاهب ، وحتى لا أديان ولا مذاهب .

ب- سفير لبنان السابق في الولايات المتحدة عبد الله بو حبيب

لكن ما هي العوامل التي أوصلت هذه المجموعات إلى البيت الأبيض ، وتحديداً إدارة بوش الابن ، فقد جمّد بوش الأب ضمانات لإسرائيل كي تقبل بعقد مؤتمر مدريد ، رغم معارضة التيارات الصهيونية المسيحية ، وما هو سر التحول من بوش الأب إلى بوش الابن الذي يبدو أسيراً لهذه التيارات ، ومن جهة ثانية على صعيد الصراع بين الأحزاب الأميركية .

المعلوم أن الناخب اليهودي أكثر ميلاً إلى الحزب الديمقراطي ، وهناك تحالف شبه دائم بين اليهود والسود في إطار الحزب الديمقراطي ، فما سرّ تحول اليهود والصهيونية المسيحية في اتجاه الحزب الجمهوري ، وهي التي لعبت دوراً رئيسياً في إنجاح الرئيس بوش في الانتخابات؟

سفير لبنان السابق في الولايات المتحدة عبد الله بو حبيب أجابني على هذه الأسئلة وسواها في سياق البحث .

يقول بو حبيب : أولاً بوش الابن اليوم لديه تجارب مسبقة ، التجربة الأولى خبرة والده الذي لم يتعاون كثيراً مع إسرائيل ، ومن ثم الحركات التي تؤيد إسرائيل بالولايات المتحدة . ونتيجة لذلك يقال إن بوش سقط في الانتخابات لأن اليهود والتيارات التي تؤيدهم حاربت جورج بوش عام ١٩٩٢ وأخرجته من الرئاسة الأميركية .

والتجربة الثانية هي تجربة بيل كلينتون الذي عمل ثماني سنوات على النزاع العربي الإسرائيلي ولم يوقف . فالذي رآه جورج بوش الابن أن العمل على تسوية فلسطينية – إسرائيلية صعب وقد لا ينجح ، كما أن محاربة اليهود في الولايات المتحدة بالعداوة لإسرائيل قد يفشله أيضا في الانتخابات المقبلة فتوجه نحو التيار الموالي لإسرائيل . لكن هذا التيار الجمهوري هو تيار محافظ وتيار ليكودي مع إسرائيل أكثر مع التيار الديمقراطي والليبرالي ، وتعاون الرئيس بوش مع مسيحيين وأصوليين ، خصوصا إسرائيل في السابق ، لكنهم اليوم أصدقاء إسرائيل ، وقسم منهم في البيت الأبيض والآخر في البنتاغون ، كما يوجد أيضا الكثير من العناصر اليهودية ، فالأميركيون الذين يؤيدون إسرائيل موجودون في الجهتين البيت الأبيض ووزارة الدفاع .

وعن مدى صلة هذه المجموعات مع كل من الحزبين الرئيسيين في أميركا ، يقول بو حبيب : أولا اليهود لم يصوتوا لجورج بوش في الانتخابات الماضية لا الأب ولا الابن ، ولكن في الانتخابات نصف الأخيرة استطاع بوش الابن أن يستعيد القوى اليهودية التي تكون عادة مع الجمهوريين ، لأنه يوجد عادة نحو خمسة وعشرين في المئة من اليهود من الجمهوريين ، وخمسة وسبعين في المئة من الديمقراطيين ، وقد حصرهم جورج بوش الأب منذ العام ١٩٩٢ والعام ٢٠٠٠ لكن استعادوا هذه القوى في العام ٢٠٠٢ بالانتخابات الفرعية ، وسببها أن جورج بوش كان متصادقا مع شارون ، وهما اللذان جاءا إلى الحكم في الفترة نفسها : جورج بوش في ٢٠ تشرين الثاني/ يناير ٢٠٠١ وشارون جاء في ٦ شباط/ فبراير ٢٠٠١ ، واتفقا سويا وتلاعبا بالأزمة الفلسطينية الإسرائيلية . فجورج بوش دعم شارون وعادى العراق وإيران وكل القوى المتطرفة في العالم العربي والإسلامي ، واستطاع أن يرجع إلى الجمهوريين اليهود الذين تركوهم في التسعينيات .

وحول علاقة شارون مع بوش الابن ، سألت بو حبيب أن هناك كلاما لأحد القادة المسيحيين المتصهينين يقول : ممنوع أن نتنازل عن أي إنش من أرض فلسطين ، وشارون المتشدد قال : سنعطي غزة وأجزاء من الضفة إلى الفلسطينيين .

فهل إننا اليوم أمام قوة دينية في أميركا أكثر تطرفا من آرييل شارون في إسرائيل؟

بالطبع ليس كل اليهود كذلك ،لكن توجد قوة يهودية قوية متطرفة في الولايات المتحدة الأميركية وفي إسرائيل وبشكل صعب أن يصدقه الإنسان ،لكن نتنياهو يعد إلى يمين شارون وغيره من القادة اليهود من حزب الليكود ، كذلك هناك قوى في الولايات المتحدة من اليمين الأميركي ويمين شارون .

وحول إمكانات العرب في السيطرة على الإعلام في الولايات المتحدة يقول بو حبيب : لم تكن لدى العرب إمكانيات ، فما من أحد في العالم لديه إمكانيات ،لكن لا توجد همة عربية للدفاع عن ذلك . اليوم يملك اليهود الميدان بمفردهم ويستطيعون أن يفعلوا أي شيء ولا أحد يعارضهم ، فأي رئيس للولايات المتحدة وليس فقط بوش سيكون أسيراً لهذه الفئات لأنها الوحيدة في الميدان في واشنطن ، ويضيف بو حبيب : وفي المقابل كل دولة عربية الآن تحاول الدفاع عن مطامعها الخاصة في واشنطن .

توجد مصالح بترول في الخليج وغيره كما توجد لأميركا مصالح سياسية في مصر ، وهذه المصالح ليست مهددة ،لذلك ليس هناك معارضة للسياسة الأميركية في المنطقة العربية ، هل قامت المظاهرات في العالم العربي عندما كان شارون يضرب الضفة ويهدم نابلس وعند محاصرة كنيسة المهد؟ في القديم كان الزعماء العرب يقولون إنهم سيحاربون الولايات المتحدة ، أما اليوم فلا حول ولا قوة .

ت- د . جورج جبور

رئيس الجمعية العربية لمناهضة العنصرية ، مستشار سابق في القصر الجمهوري ، رئيس لجنة التراث العربي المسيحي ومؤلف كتب في حقوق الإنسان . يتحدث عن التناقض الذي حل في سلوك الجماعات الصهيونية المسيحية بين المثل العليا الاجتماعية التي يتحدثون عنها ، فهم يمنعون الإجهاض والتعليم الديني في المدارس ، ويرفضون العلاقات الجنسية بعد الزواج بما يوحي بأنهم أصحاب رسالة ، وفي الوقت نفسه يقومون بأفظع الممارسات المنافية للدين والأخلاق ، وفي الوقت نفسه نجد أن الصحافة تتحدث عن مبادئهم وشعاراتهم الدينية بكثرة ، ولكن لا تتحدث كفاية عن ممارستهم الأخلاقية في الوقت الذي إذا حمل عربي سكيناً يضعونه في الصفحات الأولى .

ويقول الدكتور جورج جبور إن هذا التناقض الواضح في سلوكهم هم يشرحونه بصعوبة ، فهم يقولون إنهم في الموضوع الفلسطيني ينتظرون عودة المسيح ، وإنه من أجل عودة المسيح لابد من عودة اليهود إلى فلسطين . وهم يوافقون على كل اضطهاد يعاني منه الفلسطينيون ، وفي نظرهم فإن مثل هذا الأمر مفروض دينياً ، وبالطبع لا يمكن لدين من الأديان أن يحمل مثل هذه النظرة لكنهم ضيقون جداً في هذا المجال ، أما بالنسبة إلى الأمور الأخرى (مثلهم العليا) هذه إنما هي في بعض الأحيان تبدو ساذجة مثل موضوع الإجهاض ، فهناك مواقف كثيرة حوله ، وهناك من يرى الإجهاض ممكناً في بعض الحالات . لن أتحمس عن الدفاع عن مثلهم العليا ، لكن بمعنى أو بآخر هم يأخذون الديانة المسيحية كما يفهمونها وليس كما يفهمها المسيحيون ، يأخذونها حرفياً ويطبقونها ويقعون في التناقض ، كما يقع في التناقض معظم الذين يأخذون الديانات بشكل حرفي .

وحول الإعلام يقول جبور : هذا أمر عالجه (جورج أرول) في روايته الشهيرة ١٩٨٤ والتي كتبت في العام ١٩٤٨ ، الإعلام كما نعلم يقلب الحقائق ، فمؤخراً وفي حديث إلى الإذاعة البريطانية قيل إن سورية تتاجر بنفط العراق إلى آخره ، قلت إن وسائل الإعلام البريطانية هذه قبل نحو مائة عام صورت فلسطين على أنها خالية من السكان . وعلى أساس الفكرة التي نشرتها وسائل الإعلام البريطانية بأن بلفور قام بإصدار وعده ، ثم بعد العام ١٩٨٥ اضطر جاك سترو إلى أن يقول إن وعد بلفور لم يكن خطوة مشرفة ، ولكن لم يقل هذا إلا عندما قامت الجمعية العربية لمناهضة العنصرية في دمشق بتوجيه رسالة له تطالبه فيها بالاعتذار . إن وسائل الإعلام تقلب الحقائق لأنه تحكمها المسألة المالية والتوجه الفكري ودولة المكان ، (النيويورك تايمز) تبقى جريدة أميركية ، وهي بشكل أو بآخر ورغم أن الحكومة الأميركية لا تدخل في التفاصيل ، تبقى محكومة بالثوابت الأميركية .

وحول ما إذا كان الانهيار الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي في أميركا يشكل أرضاً خصبة لنشوء مثل هذه التيارات الصهيونية المسيحية التي يجد فيها الأميركيون بدائل خيالية هرباً من الواقع ، وهل نتوقع بالتالي أنه كلما ازداد الوضع الاقتصادي خطورة في أميركا يزداد تمسك الأميركيين بالخرافات ويزداد عددهم وأصواتهم ، وأننا قد

نصل إلى الرئيس الأميركي منهم . على كل حال الرئيس كارتر فتح الباب لأنه يشاركهم العديد من آرائهم ، وبوش يمثلهم ، حول هذا التساؤلات يجيب جبور :

هذا الأمر صحيح ، فالانهيار الاجتماعي والأخلاقي والصعوبات الاقتصادية تجعل المجال فسيحا لمثل هذه الحركات الأصولية . ولدينا بالطبع في بعض البلاد الإسلامية شواهد على هذا الأمر . الإنسان هو واحد من هذا العالم ، ليس هناك إنسان شمالي وجنوبي ، فحين يحصل انهيار أخلاقي يحاول أن يبحث عن أصوليات ، عن مرجعيات ، ولو كانت ضيقة . مؤخرا قرأت خبرا في صحيفة الرتربيون بتاريخ ٢١ أو ٢٢ ديسمبر يقول إن ستة من أصل عشرة أميركيين يعتبرون أن الديانة تلعب دورا حيويا في حياتهم ، وهذا يقربهم من الدول الإسلامية التي اشتهرت بأصوليتها . وبشأن الرئيس كارتر هو أول من فتح الباب لهم ، يقول جبور كان كارتر يستشير هؤلاء الناس ، وهناك حادثة تذكرها إحدى المؤلفات وهي أن وزير البيئة عند ريغان حين عرض عليه مشروعا لتحسين البيئة قال لا ضرورة لهذا المشروع لأن الإشارات تكاثرت . إذن هناك هذه التيارات وتلك التيارات تتناقض مع التوجه العلمي الذي تقوده الولايات المتحدة . لدينا توجهان : توجه ديني محافظ وتوجه علمي متقدم جدا ، وهذان التوجهان موجودان في المجتمع الأميركي ، وهما يحملان بذور تناقض هذا المجتمع ، تناقض قد ينفجر عنيفا وقد لا ينفجر عنيفا لكنه موجود وينبغي حله ، وينبغي للمفكرين الأميركيين الحديث عن كيفية حل هذا الخلاف بين هذين التوجهين .

لاشك أن إسرائيل تعاني من المشكلة نفسها ، إذ نلاحظ أن هناك المتطرفين جدا ، وكل إسرائيل متطرفة بالطبع ، وهناك المنفتحون الذين يحاولون أن يكونوا مع السلم وضمن ظروف صعبة سياسية عليهم ، لكن الماركسية الجديدة في أميركا مخيفة جدا . ومؤخرا تلقيت دعوة إلى مؤتمر يعقد للحديث عن مئات القوانين التي صدرت مؤخرا في أميركا والتي تناهض حقوق الإنسان ، وهذه ناحية مهمة جدا علينا أن نتذكرها . الرئيس كارتر بدأ بتقارير الخارجية الأميركية حول حقوق الإنسان عام ١٩٧٦ ، لكن هذه التقارير تضاءلت قيمتها ابتداء من ٢٠٠١/١/٩ لأن الولايات المتحدة الآن أصبحت من أكثر الدول انتهاكا لحقوق الإنسان . تحاول ذلك ولكنها تفقد مصداقيتها مع فشلها . ومع ازدياد النزعة الأخرى التي ترى أن الأمن ينبغي أن

يسبق قضايا حقوق الإنسان ، الأمن يتقدم على كل قضايا حقوق الإنسان هكذا ترى الحكومة الأميركية ، وهكذا ترى الفئات الحاكمة فعلاً في أميركا وهي فئات أمنية مثل الـ (أف . بي . أي) والـ (سي .أي .أيه) وسواها .

ث – د . فكتور عكاري

وفي صورة أشمل عن المسيحيين الصهاينة في الولايات المتحدة ، نشاطاتهم وشبكاتهم والوسائل التي يتبعونها في نشر رسالتهم عبر الولايات المتحدة ، يقول الدكتور فكتور عكاري ، متخصص في العلاقات المسيحية الإسلامية في جامعة (تامبل) عن علاقات الشرق الأوسط مع الكنيسة المشيخية الأميركية : ليسوا أيديولوجياً منظمة تحديداً لدعم إسرائيل ، جذور ذلك متأصلة في معتقداتهم ، وبموجب اتباع النصوص المقدسة بحذافيرها حرفياً ما يختص بنهاية العالم ، حيث يؤمنون بأن الألفية التي تسبق الظهور الثاني للمسيح سيتخللها اضطرابات وصراعات ونزاعات دامية ، وأن حرباً ستقع بين قوى الشر من جهة وقوى الخير من جهة أخرى في معركة حاسمة .

وعلى الأرجح ، يوجد بعض الأثرياء يمولونهم لدفع هذه الأيديولوجيا السياسية للسير قدماً . إنهم محافظون دينياً وسياسياً ، مرتبطون بشكل وثيق باللوبي الإسرائيلي وبالإدارة السياسية ، وربما كانت بعض الشخصيات في الإدارة السياسية قناعات صهيونية . لا أستطيع أن أسميهم إذ أنني لا أعرفهم شخصياً ، لكن ثمة حقيقة معروفة فحواها أن العديد من أعضاء الحكومة لديهم هذه المعتقدات .

وإذا كانوا أثرياء ، كما هي حال العديد منهم ، فمن المؤكد أنهم سيدعمون الحملات السياسية مادياً ، وبالطبع فإن هذه الحملات تشمل الأيديولوجيات التي يتبنونها ولن يتوانوا عن شراء اللوبي الإسرائيلي .

في الواقع تعي الطبقة الإسرائيلية المثقفة عجزها عن الانصياع بشكل تام لتلك الأيديولوجيا المسيحية ، وبالطبع فإن اليهود لن يقبلوا ذلك ، لذا لا يمكن لليهود اعتناق هذه الأيديولوجيا المسيحية بشكل كامل ، إلا أنهم سعداء في هذه الأثناء لأنها تخدم أهدافها السياسية .

*** وهل لهذا السبب يشجع حزب الليكود إقامة الكنائس المسيحية؟**

يجيب عكاري : إن حزب الليكود والعديد من الصهاينة المتطرفين يستغلون سذاجة العديد من المسيحيين الذين يؤمنون بتلك الأيديولوجيا ويشجعونهم على القيام برحلات إلى الأراضي المقدسة من أجل التشجيع والمساهمة في ازدهار الاقتصاد الإسرائيلي ، وهم يؤمنون بأن اليهود قد حوّلوا الصحراء إلى جنة خضراء ، لذا يأتي الناس لمشاهدة الدليل الحي لمعتقداتهم المقدسة .

وحول مخططات المسيحيين الحقيقيين في مواجهة هذا الخطر يقول مكاري : من الخطر جداً أن ننعتهم بالمسيحيين أو غير الحقيقيين ، إذ لا يحق لأحد أن يقول بتعجرف إنه مسيحي حقيقي وإن غيره ليس كذلك ، لكن ثمة نظرية سوء ترجمة من ناحية فهم المسيحيين المتطرفين لوعود الكتاب المقدس . فبالنسبة للذين لا يعتنقون هذه الأيديولوجيات لا يسعهم سوى أن يطلبوا الفصل وبوضوح ما بين الأيديولوجيا السياسية لحكومة إسرائيل التوسعية وبين فكرة الكتاب المقدس لإسرائيل التي هي رمز لجميع الصالحين في العالم الذين دعاهم الله لرفع مبادئ العدل والاستقامة والرحمة والسلام ، هذه هي إسرائيل التي وعدهم بها الرب ، إنها تجسد الازدهار والرخاء .

ج – د . جرجي كنعان

الدكتور جرجي كنعان ، دكتور في الآداب من الجامعة اللبنانية ، محاضر في جامعة دمشق ، كاتب ومؤلف لأكثر من ١٢ كتاباً حول الصهيونية المسيحية ، وأبرزها : (وثيقة الصهيونية في العهد القديم) ، (الله هو القضية) ، و(محمد واليهود) ، و(العنصرية اليهودية) ، يجيب على السؤال قائلاً :

*** إلى أي مدى في رأيكم تنطبق طروحات الصهيونية المسيحية على ما هو في العهد القديم؟**

بالطبع تنطبق بكل ما هو في العهد القديم ، لأن الصهيونية المسيحية على ماذا تقوم ، على آيات التوراة واحدة بعد الأخرى .

أستطيع أن أقول لك مثلاً إن العقل المسيحي هو أحد العوامل الأساسية في التفكيرين الأصوليين اليهودي والمسيحي . العقل المسيحي (عودة المسيح) مع اختلاف

بسيط في المنطلقات المشتركة والتطلعات المتماثلة في اليهودية قـامت علـى اعتقـاد بـأن الذي وعد به اليهود لم يأت وسيأتي عندما تتهيأ له الظروف المناسبة ، وجاءت المسيحية لتقول أن يسوع الناصري قد جـاء وتمـت عمليـة الفـداء والخـلاص ولكـن هـذه الحقيقـة غُيبت أو نحيت جانباً وراج الاعتقاد بأن المسيح المنتظـر هـو المسـيح الـذي يـأتي المسـيح القادم ، والمسيح القادم الواقع هو مسيح يوحنا في رؤيـاه . وهـذه بعـض الأمثلـة للمسـيح القادم وهي من سفر رؤية ١٩- ١٢ :

(عيناه كلهيب نار متسربل بثوب مغمـوس بـالدم ، ورجـلاه شـبه النحـاس النقـي كأنهما محميتان من أتون ، وسيف ماض ذو حدين يخـرج مـن فمـه . يوحنـا اليـاهوتي يقول : من فمه يخرج سيف ماض ذو حدين لكي يضرب الأمم ، وسيرعاهم بعصا مـن حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله ، وله على ثوبه وفخذه اسـم مكتـوب ملك الملوك ورب الأرباب رؤية ١٦/١٩ يوحنا كائن مركب له سبعة أرواح اللـه والسـبعة الكواكب وسبعة أعين والممسك لسبعة كواكب) .

*** وحول أميركا بلاد المسيحية في الدرجة الأولى ، وعبادة الله منقوشـة علـى الدولار ، والإحصاءات تقول إن شعبها يضم أكثر المتدينين ، المسـيحي يقـع فريسـة تفسـيرات للكتـاب المقدس خارجـة عـن المسـيحية تؤيـد العـدوان والحروب وقتل الأبرياء؟**

يقول كنعان : نتحدث عن الإيمان المسيحي الذي يقع فريسة لتفسـيرات الكتـاب المقدس ، عن أي إيمان مسيحي تتحدثـين وعـن أي تفسـيرات للكتـاب المقـدس ، نحـن بعيدون عن الجوهر في المسألة .

وجوهر الموضوع أن الغرب الأوروبي والأميركي يأخذ بكتاب التوراة اليهودية إيمانـاً وعقيدة ، وهل تجدين في هذا الكتاب آية لا تحث على العدوان وتقتـل الأبريـاء ، ولعـل أهم ما يؤكد عليه هذا الكتاب هو الحقد الأبدي الـذي يجـب علـى اليـهود تنميتـه فـي صدورهم لقهر شعوب الأرض بالقتل أو الطرد ومن ثم احتلال الأرض ، فعندما كان بنو إسرائيل على تخوم الأرض كانت شريعتهم أو القائد الناطق باسمهم تبث في صدورهم. روح العداء والحقد على الشعوب التي كـانوا ينـوون غزوهـا والاسـتيلاء علـى أراضيـها ،

وبقدر ما كانت الشريعة تؤكد على التقتيل والتذبيح والتحريم والإبادة والطرد بقدر ما كان الحقد ينمو في صدورهم وفي نفوسهم تعشش طحالب البغض والكراهية . خذي مثلاً قول الرب إلى موسى : (أرسل هبتي وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي إليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين وأرسلك أمامك الزنابير وأدفع لأيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك لا تقطع معهم ومع آلهتهم عهداً) .

العهد الجديد ينادي بالمحبة والسلام (أحبوا بعضكم بعضاً) وكل الأمور التي تدافع عن حقوق الإنسان والعيش بكرامة .

*** لكن لماذا الصهاينة المسيحيون متمسكون بالعهد القديم وإلى متى سيبقى هذا الوضع على ما هو عليه؟ .**

يجيب كنعان : متمسكون بالعهد القديم بتأثير اليهودية أو بتأثير ربط العهد القديم بالعهد الجديد وهذا مرض الأجيال القادمة ، ولا يستطيع الغربي أن يكتفي بالإنجيل وحده ولكن لابد أن يقرأ التوراة في الفكر البروتستانتي ، فأعتقد أن أبلغ تعبير عن الصهيونية المسيحية هو المسيحية المتصهينة ، وهذه المسيحية المتصهينة هي مترسخة في الثقافة السياسية الغربية وتؤلف جزءاً لا يتجزأ من مقومات الفهم الغربي وتحتل قدراً مهماً من مقدرات التفكير الغربي العام ، وقد أضحت متأصلة ومتأسسة في كل إنسان في نصف الكرة الأرضية الغربي ، وصارت الدعوة الأصولية من الوجهة الاستراتيجية من أشد القوى الاجتماعية والثقافية حيوية في نصف الكرة الأرضية .

*** ما يقوله بعض المحللين إنه إذا قرأنا الأدبيات حول الصهيونية المسيحية يبدو أن هناك مبالغة في الحديث عن تأثير هذه الجماعات على المجتمع الغربي؟**

يجيب كنعان : ليس مبالغة ، لأن الأصولية المسيحية هي القائدة في نصف الكرة الغربي بأسره ، وجميع المسيحيين تقريباً أصوليون في الغرب ولا يستطيعون أن يتحرروا من تأثير التوراة في نفوسهم ، والتوراة لا تدعو إلا إلى شيء واحد هو غزو الأرض أو العودة إلى الأرض ، وأن المسيح المنتظر سوف يأتي عبر هيكل سليمان الذي سيقام على أنقاض المسجد الأقصى ليحكم العالم ألف عام أو ما يسمى الألف عام جديد .

*** حول أي إثبات ، حول وجود أي أثر لليهود أو الإسرائيليين في تلك المنطقة تحت المسجد الأقصى؟ .**

يقول كنعان : لا يعنينا أن يكون هناك أثر لليهود تحت المسجد الأقصى أو ما شابه ذلك ، يعنينا أن مشكلتنا هي مع هذا الكتاب والذي يقدسه المسيحيون ، العهد القديم أو التوراة الحقيقية أستطيع أن أقول بصراحة تامة إن الذي يؤخذ بهذا الكتاب هو في منتصف الطريق ، وقد أعلنت هذا في أكثر من كتاب من كتبي عن الصهيونية ، أما الذي يؤمن به إيمانا كاملا فهو صهيوني خالص ، مشكلتنا مع هذا الكتاب وليس لهم هم من أي مبرر لوجودهم فوق هذه الأرض إلا التوراة .

ح - د . مهات فرح خوري

*** إلى أي حد لعبت أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر دورا في دعم نظريات الصهيونية المسيحية ، وهل وجدت هذه التيارات في أحداث أيلول تأكيدا على دعائها للعرب كون الاتهام وجه إلى عناصر عربية؟ وما هي إمكانية التواصل بين المسيحيين العرب والمسيحيين الأميركيين؟**

د . مهات فرح خوري مديرة مكتب مجلس كنائس الشرق الأوسط في دمشق ، عضو اتحاد الكتاب العرب ، تجيبني عن هذه التساؤلات بالقول : إن أحداث ١١ أيلول لعبت دورا في دعم النظرية الصهيونية المسيحية من جهة عند الذين يؤمنون بهذه النظرية المطلقة وهم ليسوا بالقلة ، وقد شنوا حربا شعواء على العرب ، والاهتمام الذي وجه إلى عناصر عربية قبل الوقوف على الحقيقة . في كل الأحوال كثيرون من أتباع الصهيونية المسيحية على ما صدر عن المؤتمر الأول في سويسرا والصهيونية المسيحية ١٩٨٥ وهو أن من حق الشعب اليهودي أن يعيش حرا طليقا في أرض إسرائيل كلها كأي فلسطيني بما فيها غزة ، فاليهود لا يريدون على هذه الأرض التي يسمونها أرضا بلا شعب ، إن المنتمين إلى الصهيونية المسيحية لم يكن ينقصهم حجة أو سبب ليبرروا عداءهم للعرب ، وفي رأيي نستعين بهم وكلهم مؤمنون وينتمون إلى كنائس مختلفة .

من جهة ثانية ليس فقط أحداث ١١ أيلول شجعت الصهيونية المسيحية ، على العكس إن بعضهم قد زاد تعاطفهم مع فلسطين والشعب الفلسطيني وأدركوا أكثر وأكثر

معنى الإرهاب ، إرهاب الدول الذي هو أخطر بكثير من إرهاب المنظمات ، ولكنهم بحاجة إلى توضيحات . فنحن مقصرون ، ويجب أن نركز على هذه الناحية ونقوم بحملة تبشيرية ، وإن كنت لا أحب استخدام هذه الكلمة ، ولكن هذه الحملة تكون ملحّة ومكثفة ومتتابعة ومنطقية لإطلاع الإنسان الأمريكي الغربي على الحقيقة التي يخفيها عنه إعلامه المسيطر سيطرة قوية ، فأنا أعتقد أن المستقبل ليس بعيداً ويجب أن نأمل ، وإذا قطعنا الأمل ماذا يبقى لدينا .

*** في إحصاء لمجلة التايم والـــ CNN أن تسعة وخمسين في المئة من الأميركيين يتوقعون حصول ما يسميه الأصوليون مذبحة (الأرماجدون) التي تسبق عودة المسيح ، وخمسة وعشرين في المائة يعتقدون أن أحداث ١١ أيلول تنبئ بها التوراة . فما سبب هذا التفكير الغيبي لدى الشعب الأميركي المعروف أنه شعب طيب متشكل من أعراق ومجموعات عدة ، وبالتالي قد يكون من السهل أن يقع تحت تأثير مجموعة قليلة من قوى ناشطة شغلها الشاغل غسل دماغ المواطنين ضمن خطة منظمة؟**

تجيب مهات فرحات : يدهشني جداً هذه الأفكار التي تدور في الصدور وهذا التفكير الغبي ، هل من المعقول أن تسعة وخمسين في المائة من الأميركيين يتوقعون حصول معركة (الأرماجدون) قبل عودة المسيح ، ثم خمسة وعشرين في المائة منهم يقولون إن التوراة قد تنبئ بهذا الحدث الإرهابي الذي حدث في ١١ أيلول ، لم نجد شيئاً من هذا في التوراة ، في أي آية وأين هذه النبوءة ، ثم إن صحت هذه الإحصائيات وهذه الأنباء ، فإن هذا مرده إلى تأصل الصهيونية المسيحية في نفوس وعقول عدد كبير من أعضاء الكنيسة المسيحيين ، وهذا يساعد الشعب الأميركي على أن يؤمن أفراد بدون نقاش أحياناً ، لآراء زعماء الدين الذين لا يفتئون يبشرونهم ويعيدونهم . كانت التفسيرات التي أعطاها للكتاب المقدس الإصلاح البروتستانتي بعد القرن السادس عشر والتي أضفت للكنيسة ولهذا الإصلاح ، أعطته ولو فتحت المجال واسعاً أمام نشوء البدع وظهورها بمظهر العقيدة المسيحية قبلها رسلهم .

هذا للأسف ، وهذا أقوله وأنا مقتنعة به ، إن الشعب الأميركي طيب ولكنه ليس بسيطا ولكنه مؤمن وهذا الإيمان يتوجب عليه أن يذعن لهذه النظرية ، على كل حال كل يفكر كيفما يشاء وكل رئيس كنيسة من هذه البدائع يطلق مفاهيم على هواه ويريد أن يفهم التوراة كما يحلو له .

إن السبب هو الفكرة القديمة التي نشأت في القرن الأول ، حيث كانت توجد كنيسة يهودية بمعنى اليهود الذين تركوا اليهودية وأصبحوا مسيحيين ، هؤلاء الناس كانوا ينتظرون المسيحية وبالتالي هم قالوا عن رفض اليهود الذين كانوا يعتبرونهم شعب الله المختار إن هذا الرفض مؤقت من أجل أن يذهب المسيح للأمم بالمسيح ، بمعنى أن اليهود رفضوا المسيح من أجل أن يذهب المسيح للأمم وبعد ذلك الأمم تؤمن بالمسيح وبعد ذلك يأتي المسيح من أجل أن يأتي المسيح في نهاية العام حيث يملك على اليهود والأمم معا . بمعنى أنه سيعود الشعب المختار اليهودي مرة ثانية إلى المسيح ويبني الهيكل ، شعب واحد يهودي ومسيحي تحت حكم المسيح . هذا كان طبعا خلفية التاريخ العنصري عند اليهود رفضها بولس الرسول ورفضها اللاهوتيون الذين كانوا في ذلك الوقت ، وهذه الفكرة استمرت حتى القرن الخامس وانتهت تماما . والقديس أوغسطينوس كان يؤمن بها في بداية حياته وقبل نهاية حياته أنكرها وقال : إنها فكرة غير كتابية بالمرة ، واستمرت مجهولة وانتهت إلى القرن الثامن عشر بعد الهلوكست المذابح التي تعرض لها اليهود في أوروبا والاضطهاد الذي حصل معهم في ألمانيا ، حيث بدأ بعض اللاهوتيين الأوربيين يتعاطفون مع الشعب اليهودي كشعب مضطهد ، وبدأ شخصان هما دربي واسكلفد ينظرون بهذه الفكرة مرة ثانية وبدؤوا يظهرونها من أجل أن يعطوا شيئا من الكرامة لليهود . فقالوا إنه لابد أن اليهود من أجل أن يأتي المسيح مرة أخرى يعود إلى فلسطين أن يؤسس هناك دولتهم ويبنوا الهيكل ويقدموا ذبيحة يهودية على مذبح الهيكل وبعد ذلك هذه الذبيحة لا تقبل ثم يأتي المسيح ويؤمنوا بعد ذلك بالمسيح ويحدث حرب (الأرماجدون) ، وبحسب معتقداتهم إن العالم كله سوف يقف ضد إسرائيل تنهزم في البداية لكن يتدخل الله من خلال الطبيعة التي هي الأعاصير والزلازل والأمطار نصرا لإسرائيل . وهنا يأتي المسيح من أجل دينونة العالم فيحكم في جبل صهيون لمدة ألف عام .

*** وأخيرا ماذا عن حائط المبكى الذي يقول عنه اليهود إنه ما تبقى من هيكل سليمان؟ فحتى الآن ورغم كل الحفريات لم يظهر أي أثر يهودي من أي نوع يستخدمه اليهود لإثبات أن هيكل سليمان هو تحت المسجد الأقصى ، على ماذا تعتمد الصهيونية المسيحية وإسرائيل وأميركا إذن في إقرار ذلك؟ .**

إن اليهود يعتمدون في ذلك على التاريخ اليهودي المكتوب في العهد القديم على أساس أن هيكل سليمان كما يدعون بني هناك أو بني مرتين وهدم وهم يريدون بناءه للمرة الثالثة ، لكن موقعه بالضبط وهو المسجد الأقصى غير ثابت علميا أو تاريخيا في هذا الموقع ، لكن تاريخيا كان يوجد هيكل سليمان الذي بني في التاريخ اليهودي القديم .

إنهم يدعون هذا ، لكن لا يوجد شيء علمي يقول إن هذا الحائط هو جزء من هيكل سليمان ، ولا أدري من أين أتوا بهذا الكلام .

أكاديميا لا يوجد شيء يثبت أن هذا الحائط هو جزء من هيكل سليمان الذي هدم عام ٧٠ ميلادي على يد طيوطس الروماني . من جهة ثانية لا أستطيع على هذا التنظير الخاص بالدكتور كمال الصليبي لأنه لا يوجد أساس علمي عن أثر تاريخي يقول إنهم أتوا من هذا المكان أو ذاك . حتى الكتاب المقدس عندما يقول إن شعب إسرائيل دخل إلى أرض فلسطين كان يوجد سبعة أجناس موجودة فهم كانوا مجموعة ، بمعنى أن كلمة شعب لا تنطبق عليهم . كانوا في ذلك الوقت مجرد قبائل قليلة العدد وكانوا قبائل بدائية همجية وكان هناك أعداد كبيرة ضخمة من هذه القبائل . حتى إذا جمعنا هذه القبائل فإنها لم تتجاوز نصف مليون وفي نفس الوقت هذه القبائل لم يكن لها جذور في هذه المنطقة وكان يوجد عرب منذ ذلك الوقت الذي دخل فيه يسوع إلى أرض فلسطين ، كان هناك عرب موجودون على أرض فلسطين . أما بشأن فكرة الوعد فإن النبي إبراهيم يقول الوعد في كتابه المقدس في العهد القديم يقول أنا سأجعل أبا لأمم كثيرة ليس فقط لأمة اليهود . البند الثاني الوعد بالأرض كان وعدا مؤقتا على أساس عندما يدخل شعب إسرائيل إلى هذه الأرض كان هو الشعب الوحيد الذي يؤمن بالله الواحد في ذلك الوقت ، فأعطى هذا

العهد وهذه الأرض كي يكون نورا للأمم من أجل أن يقول للناس إنه يوجد إله واحد وينادي الناس أن يتركوا العبادة الوثنية . لكن الذي حصل حسب النص القديم أن هذا الشعب خان هذه الرسالة وأعتبر أن الله عندما أعطاه هذا الامتياز أن هذه ليست رسالة إنما امتياز وأعتبر كل الأمم من حوله كلاب وعبيد ، وبالتالي لما جاء الوعد بمجيء المسيح أصبح البديل لهذا العهد وأصبح البديل بديل الوعد والأرض وبديل الشعب وأصبح كل شعب الأرض شعب الله في المسيح وبالتالي هذه الفكرة انتهت أساسا من الوجود .

*** وأسأل القسيس لمعي : ما الذي يقوم به المسيحيون الذين يؤمنون بالعهد القديم والعهد الجديد ، لمحاربة نظرية الوعد التي تتذرع بها الجماعات الصهيونية لتحقيق سيطرتها على القدس؟ ألا يوجد من ردة فعل لشرح الواقع المسيحي لمنع الصهيوني المسيحي من النمو؟**

يجيبني القس لمعي : يوجد في أميركا شيء اسمه (اتحاد كنائس المسيح) ، فيه كل الكنائس البروتستانتية ومن أبرز هذه الكنائس الكنيسة المشيخية ، وهذه الكنائس كلها ضد الحركة الصهيونية تماما وأصدروا بيانات كثيرة ضد هذه الحركة الصهيونية وحتى الكنيسة المشيخية الأميركية اختارت رئيسا للمجتمع المقدس الأعلى شخصا من أصل فلسطيني اسمه القس (فهد أبو عقل) ويتولى منصب رئيس المجلس الأعلى للكنيسة المشيخية تقديرا له ومساندة للقضية الفلسطينية . فالحقيقة توجد مجهودات ، لكن المشكلة أن الجماعات الصهيونية أو المسيحيين المؤمنين بالصهيونية هم الصوت العالي ومعهم الإعلام ويتصرفون بمنتهى العنف ، والأغلبية الصامتة تعلم وتفهم والكنائس تصدر بيانات باستمرار ضد الممارسات اليهودية وتصدر كتبا يقولون فيها العقيدة المسيحية الحقيقية . وأنا في مصر أصدرت ثلاثة كتب في هذا الموضوع ، الكتاب الأول (الاختراق الصهيوني للمسيحيين) ، والكتاب الثاني (هل يملك المسيح إلى الأرض) ، والكتاب الثالث (العلاقة بين المجيء الثاني وعودة اليهود إلى فلسطين) ، وهكذا توجد مجهودات في هذا الاتجاه ، لكن الحركة الصهيونية تساندها الحكومة ورجال المال ، وعندما تحسبين اللوبي اليهودي مع اليمين المتشدد مع المسيحيين الصهاينة مع دعم الحكومة يصبحون قوة لا يستهان بها .

١١ - خلاصة الفصل الأول

بعدما حدد الفصل الأول مفهوم الصهيونية المسيحية ، كما تدعي إسرائيل ، وبعد استعراض المفهوم الحقيقي لها من قبل أكثر من باحث ومفكر ، دينيا كان أم علمانيا ، تضمن هذا الفصل مجموعة من العناوين تمحورت كلها حول تفسير العهد القديم وكما يرونه في الولايات المتحدة الأميركية انطلاقا من سلوك الصهاينة المسيحيين الذين حولوا هذا السلوك إلى ممارسات تجلت بجملة من الأعمال الإجرامية على مختلف أنواعها ، وصولا إلى تحديد موقف الصهاينة من فلسطين مع الإشارة إلى استعراض رواد الصهيونية المسيحية في أميركا ودور هؤلاء مع الجماعات المتصهينة والسيطرة على الإدارة الأميركية ، كان لابد من تأكيد الدور الانعزالي التخريبي للصهيونية العالمية وذلك من خلال استعراض فيلم (آلام المسيح) الذي أعلن مخرجه وممثلوه للعام بأسره ما هي الصهيونية العالمية ، من هم الصهاينة ، كيف ينظرون إلى المجتمع البشري ، وكيف يرون مستقبل بني صهيون في الأسرة الدولية .

فما هو فيلم (آلام المسيح)؟ لماذا فيلم (آلام المسيح) ما هي العلامات الفارقة التي أظهرها الفيلم؟ هل هي رسائل إلى الصهيونية العالمية أم إنها إعلام للرأي العام العالمي؟

على هذه الأسئلة وغيرها يجيب الفصل الثاني من الكتاب .

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

آلام المسيح

١ - المقدمة
٢ – رواية الفيلم عبر الإنجيل
٣ - آراء في الفيلم
أ - سيادة المطران بطيخة
٤ - ردود الفعل على الفيلم
أ - رئيس لجنة الإعلام الحبرية البابوية
ب – غبطة الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير
ج- مطران جنوب أفريقيا (ديزيموند توتو)
د - نادر طالب زادة
٥ - الآيات القرآنية
٦- عضو الهيئة الاستشارية لبرنامج تطور الحضارات في جامعة دمشق سمير مرقص
٧- الفاتيكان
٨- اليهود في المسيحية
د . يوسف كفروني
آيات المسيح في اليهودية
٩- اللاسامية والمعاداة للسامية
١٠- أهم الأشخاص الذين هاجموا إسرائيل
١١- خلاصة الفصل الثاني

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

آلام المسيح

١ - المقدمة

القاتل يحاكم القتيل ، هذه إحدى غرائب التاريخ ، والتهمة ملتصقة بأقلية ضئيلة في عالم زاخر بالإيمان ، فالتهمة لم ترد منذ العهد الجديد فقط ، بل جاءت في العهد القديم نفسه ، عندما صب أنبياء بني إسرائيل اللعنة والغضب على هذا المسمى (الشعب المختار) الذي يقول عنه أنبياء اليهود ، كما المسيح ورسل المسيحية وأنبياء ونبي الإسلام ، إنهم قتلة الأنبياء . فماذا فعل ميل غيبسون في هذا الفيلم الصادق الدقيق الموثق بنصوص أجمع أهل الدين كلهم على أنه الصورة الصارخة لتعذيب وحشي مارسته أسوأ مجموعة في الأرض ضد السيد المسيح؟ وما العجب وما الجديد؟ ولماذا نكتفي بالتاريخ والماضي؟ هل ننسى كلام مناحيم بيغن بعد مجزرة صبرا وشاتيلا في السابع والعشرين من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٨٢ تعليقا على فعلة شارون قائلا : (ما المشكلة ، أناس غير يهود ذبحوا أناسا غير يهود) ، وهو نفسه مناحيم بيغن الذي ارتكب عام ١٩٤٨ مذبحة دير ياسين ، وبعده آرييل شارون الذي ارتكب مذبحة (قبية) التي قال مراقبو الأمم المتحدة عنها إنهم شاهدوا بأم العين الجثث العربية يتطاير منها الرصاص ، وهو نفسه آرييل شارون الذي نفذ مذابح خان يونس عام ١٩٥٥ وبعدها قتل في سيناء عام ١٩٧٦ مئات الجنود من أسرى الحرب المصريين ، قبل أن يسير شيمون بيريز على خطاه في مذبحة (قانا) ، ليعود شارون إلى لعبة القتل نفسها في مجازره الصارخة في غزة والضفة الغربية داخل فلسطين . ماذا فعل ميل غيبسون أكثر من أنه عبر عن إيمانه وإيمان ثلاثة مليارات مسيحي في أرجاء الأرض يؤمنون بالمسيح ، المسيح

كلمة الله الأزلية وروح من الله ، المسيح رسول المسيحية والإسلام الذي غير برسالته وجه الأرض من الوحشية والظلم والظلام إلى المحبة والعدل والعدالة .

فيلم معاناة المسيح هل يغير الرأي العام الأميركي تجاه اليهود وإسرائيل .

٢ - رواية الفيلم عبر الإنجيل

يبدأ فيلم ميل غيبسون حول معاناة المسيح مقطع عن سفر أشعيا (الآية ٥٣ من العهد القديم) ليروي على مدى أكثر من ساعتين تفاصيل الاثنتي عشرة ساعة الأخيرة من حياة السيد المسيح باللغات العبرية واللاتينية والآرامية ، مع ترجمة إنكليزية من جلسة العشاء السري ، إلى محاكمته وقيامته من بين الأموات ، مرورا بوقوفه أمام كبير الأحبار (قيافة) واقتياده إلى الحاكم الروماني بيلاطس البنطي الذي لم يجد سببا لمحاكمته . اليهود صرخوا أصلبه أصلبه . . ما جعله يقول أمام الجموع المحشوة في الخارج عبارته الشهيرة : (أنا بريء من دم هذا الصديق) .

وقال لهم بيلاطس : (ليصلب . .) وجلد يسوع وسلم ليصلب ، ونزعوا ثيابه وألبسوه رداء قرمزيا ، وضفروا إكليلا من الشوك وجعلوه على رأسه ، وجعلوا في يمينه قصبة ، ثم جثوا على ركبتهم قدامه ، هزؤوا به قائلين : سلام يا ملك اليهود . وكانوا يبصقون عليه ويأخذون القصبة ، ويضربون بها رأسه . وبعدما هزؤوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ، ومضوا به ليصلب . وفيما هم خارجون صادفوا رجلا قيروانيا اسمه سمعان ، فسخروه أن يحمل صليبه ، ولما بلغوا إلى المكان المسمى الجلجلة ، أعطوا يسوع خمرا ممزوجا بمرارة فذاق ولم يرد أن يشرب .

ولما صلبوه ، اقتسموا ثيابه بينهم ، واقترعوا عليها لكي يتم ما قيل : اقتسموا ثيابي بينهم ، وعلى لباسي اقترعوا . وأسرع واحد منهم فأخذ إسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، وعندها صرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح .

هذه الصورة التي وردت في الإنجيل ، لابد أن تقرأ بتمعن . فبعد مشاهدة رجال الدين لفيلم ميل غيبسون (آلام المسيح) رأوا أن الموضوع ليس في التركيز فقط على آلام

وعذاب السيد المسيح وإنما في انتصاره على الموت ، وقيامة وخلاص البشر للمحبة التي أظهرها لأعدائه وصورة الوجه البهي ، ويعطي الفرح وهذا هو المغذى العميق لمعاناة المسيح المكللة بالنصر .

٣ - آراء في الفيلم

حول الفيلم أجريت مجموعة من المقابلات مع عدد من المفكرين والباحثين ، علمانيين ورجال دين ، للوقوف على آرائهم ومواقفهم المختلفة والمتعددة والمتنوعة تجاه أحداث الفيلم ، وردود الفعل عليه ، سلبا كانت أم إيجابا ، مع أخذ آراء هؤلاء المفكرين حول الفيلم مع العلم أن أفلاما أخرى غير (آلام المسيح) تناولت هذه المواضيع ولكنها لم تحدث ضجة كالتي أحدثها هذا الفيلم . وكانت المقابلات الآتية .

أ - سيادة المطران أيزيدور بطيخة- النائب والبطريرك العام للروم الكاثوليك في دمشق

*** برأيك عشرات أو مئات الأفلام عن السيد المسيح عرضت ، ما الجديد الذي يقدمه الفيلم خصوصا وأن هناك الفيلم الشهير يسوع الناصري للمخرج الإيطالي فرانكو زيفرل والذي يعرض خلال الفترة التي تسبق عيد الفصح المجيد؟**

هذا الفيلم أخذ جدلا مميزا بسبب الإعلام الذي حدث منذ سنوات من قبل جهات معينة ضده ، وما هو مميز في هذا الفيلم هو التركيز على ساعات محدودة من معاناة السيد المسيح ، وهذه المعاناة تنبع من واقع وتاريخ . فالمخرج أراد أن يتمعن في الكتاب المقدس سنوات وسنوات ، كما تكلم هو وصرح واتخذ من الإنجيل واقعا سرده على الناس ، وآلاما ومعاناة شعر بها وعاشها هو كمخرج وقارئ للإنجيل ، فأراد أن يعبر على طريقته وهي بالطبع الأفلام أن يخبر العالم بطريقته تلك المعاناة والآلام مرتبطة بالحقيقة والواقع .

*** يقال إن حسن نجاح الفيلم معاناة السيد المسيح أنه ركز على ١٢ ساعة من آلام السيد المسيح ، وكونه في أفلامه بتصوير العنف مثل ، واستخدم براعة الصوت والصورة فنجح إعلاميا بشكل هائل بذلك . هناك من يقول إن ميل غيبسون ينتمي إلى كنيسة فرعية ترفض تبرئة اليهود من دم المسيح ، هل لهذا السبب كان مندفعا ومؤمنا إلى هذا الحد؟**

هذه رؤية وقراءة معينة للموضوع ، ونحن تساءلنا ردا على المقولة ، إن الفاتيكان لم ينف أن اليهود قد قتلوا المسيح فتلك واقعة تاريخية ، فالفاتيكان انطلق من منطلق أنه إذا ما قامت فئة من الناس بعمل ما فهذا لا يعني أنه يجب علينا أن نلزم كل المجموعة بما قامت به هذه الفئة ، فما نراه أن المجموعة العامة هي التي تبدأ بالتبرؤ من هذا العمل ، فاليهود هم الذين قتلوا المسيح ، فعندما بدأ مجمع الفاتيكان الثاني لم يخطئ التاريخ ، فالتاريخ واضح ولكنه قال إننا لا نلوم كل اليهود إلى أبد الآبدين آمنين بأنهم هم الذين قتلوا المسيح ، ولكن اليهود قتلوا المسيح وهذا واضح في الإنجيل المقدس ولا يستطيع الفاتيكان التنكر له .

***يقول السيد المسيح (من أخذ بالسيف) علق البعض على لعبة اليهود في الإعلام من يضرب الإعلام فهل هذه ضربة إعلامية لليهود برأيك؟ .**

من وقت السيد المسيح كانت السيوف ، وفي أوقات أخرى كانت المدافع والصواريخ ، وكانت الأشياء النووية . فالإنسان الذي يستعمل شيئا موجودا في وقته فلا بد أن يستعمل هذا الشيء بكل تأكيد ضده ، فاليوم الإعلام شيء مهم جدا ، وقد زاده اليهود وعلموا الآخرين كيف بإمكانهم أن يحاربوا أحيانا الحقيقة بواسطة الإعلام .

فمن البديهي أن تقال هذه الآن عليهم ، ولكن أنا لا أقرأ هذا الفيلم على أنه هجمة مبرمجة إعلامية ضد اليهود ، فميل غيبسون ينتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية وهو من فئة تقليدية ، ولكن لم يكن في خاطره أن يقيم إعلاما مبرمجا وسيفا للسيف كان قد استعمله اليهود .

*** البعض يقول إن ما يجري عبر الفيلم هو في إطار معركة بين الفاتيكان واللوبي اليهودي بعد زيارة قداسة البابا إلى الأراضي المقدسة ، تحدث من ممارسات الإسرائيليين ضد الفلسطينيين فرد عليه اليهود بجرائم غير أخلاقية لدى رجال الدين المسيحيين ، فهل يعني هذا الفيلم رداً على الحملة اليهودية؟**

أنا لا أظن ذلك ، فالفيلم قد بدأ من قبل المخرج منذ سنوات ، يقال منذ نحو ١٢ عاماً ، فبدأ بقراءة الإنجيل لأن يكون بهذا العمل ليظهر للناس ما أراد أن يظهر ولكنه ليس بكواليس الفاتيكان ، من اتفق مع غيبسون ليقوم بهذا العمل رداً على عمل أقامه اليهود ضد بعض رجال الدين ، إنه إظهار لحقيقة معينة وفيه إيمان كبير وفيه درس للإيمان بأنه بواسطة الصليب نصل إلى القيامة ، فعلينا أن نقرأ الألم والمعاناة ، لا ننسى أن العالم اليوم يعيش معاناة كثيرة ويبحث عن قيامة ، ربما يجب علينا أن نقرأ هذا الفيلم من هذا المنظار لا أن نقرأه بأن هناك حرباً بين اللوبي الصهيوني والفاتيكان ، خصوصاً أن قداسة الباب قد زار الأراضي المقدسة وزار سورية ولبنان ، والفيلم قد بدأ يحاك في نفسية غيبسون منذ سنوات طويلة .

*** لابد من الإجابة على التساؤل من أين يأتي ميل غيبسون بثلاثين مليون دولار لإنتاج هذا الفيلم ، فالبعض يقول إن الفاتيكان وراء هذه الفكرة ولكن لم يكن هناك اتصال مباشر بينه وبين المخرج؟**

لو أن الفيلم لم يلقَ نجاحاً باهراً كما كان لما قال الناس ذلك ، وأنا أظن أن الفاتيكان قد دفع المال لغيبسون ، نعم الفاتيكان كعادته يدرس المواضيع وليس من باب الفن وخاصة من باب الإيمان . مثلاً عندما كان فيلم (بابوكيو) عن حياة قداسة البابا البولوني يوحنا بولس الثاني رآه هو وضحك لأنه فيلم هزلي وقرأ عليه ما يقرأ وسمح به ، وقال لا توجد مشكلة فالمهم ألا تكون هناك مشكلة ضد الدين أو ضد تعاليم الكنيسة الكاثوليكية .

وهنا كان العكس تماماً لأننا سمعنا أصداء ليس عن فم قداسة البابا بل عن فم ناطقين باسم الفاتيكان كالكاردينال (هويس) رئيس مجمع الكهنوت والذي نصح كل

الكهنة الكاثوليك من العالم أن يقرؤوا هذا الفيلم ، يقرؤوا فيه معاناة الصليب وأن يتطلعوا من خلال صليب القيامة .

*** هناك بيانات صدرت وأوصت أن قداسة البابا شاهد الفيلم وأجاز الفيلم وقال إنه مطابق تماما لمضمون الإنجيل المقدس ، ثم جرى الشيء نفسه وفي الوقت نفسه قال ناطق باسم الفاتيكان إن قداسة البابا شاهد الفيلم ولم يعلق عليه لأنه عادة لا يعلق على الشؤون الفنية ، إلى أي مدى هذا صحيح؟**

أنا أتساءل إلى أي مدى بإمكاننا أن نصدق بأن قداسة البابا كما نعرفه اليوم بمرضه وشيخوخته وعجزه بإمكانه أن يرى فيلما كهذا ويتابعه ، ولكن كما ذكرت إنه من البديهي أن على دوائر الفاتيكان أن تدرس الفيلم وتبدي رأيها فيه لأنه يؤكد حقيقة هي من ركيزة الحقائق في مسيرة السيد المسيح وهي على صلب السيد المسيح هي الخلاص والمعاناة والقيامة .

*** البعض يعتقد أن هذا الفيلم قد فتح ملف الهولوكوست ، ملف مجزرة اليهود ، وهذا الأمر قد يثير ضجة كبيرة وردة فعل لدى اليهود . فهل تتوقع أن تكون هناك خطوة على هذا الفيلم كردة فعل؟**

تاريخنا يقول لنا إن كل شيء محتمل ، وما هي الخطوة القادمة الله أعلم بها ، ولكن ستكون فضيحة ما كما كانت دائما عادتهم على التهجم على الكنيسة بطريقة ما . ونحن نعلم أننا عندما نقول عاداتهم لا نقول هذا عن كل اليهود في العالم فهناك يهود لا يقبلون بهذا الأمر ويدعون إلى التقارب ويسرون إلى ما حدث منذ عشرات السنين بالتقارب بين الكنيسة الكاثوليكية والمجموعة اليهودية العالمية ، وهذا لا نستغربه لأنه من طبيعة الديانة المسيحية أن تنفتح على الجميع وأن تسمي الأمور بأسمائها ، ربما قرأها الآخرون بمنظارهم الخاص وهذا ليس شأننا . يقول **Abraham Foxmar** رئيس منظمة معارضة التشهير اليهودية إن ربع المسيحيين في أميركا فقط يعتقدون أن اليهود هم الذين قتلوا المسيح ، فهل نتوقع ارتفاعا ملحوظا في عدد الأميركيين الذين سيلومون اليهود كما تقول مجلة (نيوزويك) .

طبعا بالرغم من أنني قد قلت إن هذا الفيلم لا يـهدف إلى زيادة عدد القائلين أو الذين يفكرون ، فهذا الفيلم يهدف إلى قراءة واضحة من معاناة السيد المسيح من صلبه متطلعين إلى القيامة ، لذلك أنا أتطلع إلى زيادة عدد الذين يقبلون السيد المسيح كما تقدمه الكنيسة وليس بمنظورهم . أنا أتساءل مثلا لماذا هذه الشدة إذا كان اليهود قد قتلوا أو صلبوا إنسانا مجرما ، فإن كان كذلك فعليهم أن يفتخروا بما فعلوا وإلا فعليهم أن يقبلوهم ، فإذا كان السيد المسيح هو المجرم التاريخي وأنهم ما زالوا ينتظرون المسيح المنتظر ، تلك قراءة جديدة علينا أن نقف أمامها ، أن نوضح المبادئ من هو الذي نقدمه اليوم في معاناته اليوم من معاناته للآلام وكيف نقدمه وما هو الهدف من ذلك ، وأنا أظن أنه علينا أن نقرأ أفكار غيبسون الكاثوليكية بطريقة إيمانية أكثر مما هو بطريقة إعلامية .

*** هناك مسيحيون يقولون إن الفيلم زادهم إيمانا واقترابا من الدين ، فالواعظ (أبراهام فوكس مان) قال إن الفيلم جمع في قصة واحدة عظة حياة بكاملها والبعض من غير المؤمنين رأوا فيه منطلقا إيمانيا جديدا ، بماذا تصف هذه الحادثة؟**

أنا أظن أن هذا الفيلم هو فرصة لمن يحضره ، ولذلك نحن نشجع الجمهور لحضوره من مسيحيين وغير مسيحيين لقراءة جديدة لتلك المعاناة .

المعاناة التي يشاهدها العالم اليوم هي للسيد المسيح ، وهو لم يأت ليفتدي قلة من اليهود ، بل ليفتدي البشرية ، وعلى البشرية أن تقرأ بمنظار جديد كل هذا . والآن نقول للذين هم دون الأربعة عشر سنة إنه عليهم أن يحضروا هذا الفيلم ، وأنا أتساءل ماذا يفعل العالم ليبعد رؤية المعاناة الحقيقية لشعوب بأكملها في أنحاء العالم كافة ، فتلك المعاناة يجب أن نقرأها من آلام السيد المسيح ونحن نتمنى ألا يرى الأطفال مشاهد الدم والقتل والآلام التي عانى منها السيد المسيح موضوع هذا الفيلم .

كيف يمكن أن نمنع هذه المشاهد عن أولادنا ليس فقط على التلفاز وإنما في الواقع أيضا ، فالمسيح عانى الصلب والقتل والدماء وأشياء معينة موجودة في كل زاوية من شوارعنا ومدننا وكل مؤسساتنا .

٤ – ردود فعل على الفيلم

المعركةُ ضد فيلم ميل غيبسون ومعاناة المسيح بدأت قبل إنجاز الفيلــم ، مـا اضطر غيبسون إلى إحاطة عمله بسرية تامة ، في الوقت الذي تخوفت الأوساط اليهودية وما تزال من أن يبدد عرض الفيلم جهوداً إسرائيلية عمرها أربعون عاماً ، كتبرئة الموقف اليهودي من دم السيد المسيح . ولعل فيلم غيبسون أحد أقل الأفلام الذي نال أكبر قدر من ردود الفعل في العالم وهزّ مشاعر عشرات الملايين ، خصوصاً في أميركا وأوروبا ، حيث ثبت أن شرائح واسعة لم تكن تعرف تماماً دور اليهود في المؤامرة ، والذي كان يعرف لم يكن يدرك أن الأمر كان على هذا الشكل المروع من الوحشية الصارخة .

البعض أصيب بأزمة قلبية وهو يرى بأم العين مدى الوحشية التي مارسها اليهود ضد المسيح ، ما أثار غضب اليهود المسافرين على إحدى الطائرات (بين زوريخ وتل أبيب) من المشاهد المروعة والمطالبة بمنع عرض الفيلم على متن الطائرة .

ولم يتمالك ، حتى رجال إدارة الرئيس بوش أنفسهم من التضامن مع مضمون الفيلم ، كي لا يتهموا بالعداء للمسيحية ويوصفوا بالمسيحيين المتصهينين ، خصوصاً وأن الضجيج المفتعل من قبل اليهود ضد الفيلم يتناقض تماماً ومضمون الإنجيل المقدس ، فمؤامرة اليهود للتخلص من السيد المسيح ، بدءاً من السنهوريين (المجلس السنهوري الحاكم المؤلف من الكهنة) واليهود الفريسيين واضحة .

وبينما يحيط الغموض ما يسمى المذبحة النازية التي قال عنها والد مخرج الفيلم إنها ليست سوى خيال ، وإن المعسكرات لم تكن سوى مخيمات عمل ، وإن الملايين يقول اليهود إنهم قتلوا منهم خرجوا ببساطة من ألمانيا وبولونيا إلى أرجاء العالم ، وإلا من هم هؤلاء الملايين من اليهود الذين نراهم كل يوم في أوروبا أو في سيدني وبروكلين ولوس أنجلوس .

أ – جون فولي رئيس لجنة الإعلام الحبرية البابوية

ولم تبدأ ردود الفعل على فيلم (معاناة المسيح) الآن ، بل حتى قبل سنة ، مع تسرب السيناريو في الربيع الماضي ومسارعة اليهود إلى اتهام الفيلم بمعاداة السامية ،

الأمر الذي رفضه رئيس لجنة الإعلام الحبرية البابوية المونسنيور جون فولي بقوله بعد مشاهدته مع السفير الأميركي في الفاتيكان جيمس نيكلسون ، إنه لم يخرج بأي انطباع بإثارة الفيلم لمشاهد ضد اليهود ، علما أن عدم اعتراض قداسة الباب يوحنا بولس الثاني على الفيلم فسر بموافقته على مضمونه .

ب - غبطة الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير

وفي لبنان نفى البطريرك الماروني الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير بعد مشاهدته الفيلم صفة المبالغة في أحداث الدرامية ، وأنه صور الحقيقة كما هي ، واصفا الفيلم بالمؤلم جدا ، ولم يخالجه شعور بمعاداته للسامية .

ج - مطران جنوب أفريقيا (ديزموند توتو)

وفي المقابل يقول المطران ديزموند توتو من جنوب أفريقيا ، والحائز على جائزة نوبل للسلام إن الناس يخافون من نعت الخطأ بالخطأ لأن اللوبي اليهودي قوي وقوي جدا ، خصوصا وأن اليهود يسيطرون على وسائل الإعلام الرئيسية في العالم مكتوبة ومسموعة ومرئية ، فضلا عن تغلغلهم في السياسة . حيث يورد كتاب أميركا مستعمرة صهيونية أن نسبة اليهود في الخارجية الأميركية بلغت خمسة وسبعين في المائة ، وفي وزارة الداخلية ستة عشرة في المائة ، وفي وزارة الاقتصاد اثنين وعشرين في المائة ، وفي وزارة الدفاع خمسة وعشرين في المائة .

بدوره ندد مدير الرابطة للتشهير المتضامن مع الموقف اليهودي الصهيوني بالفيلم لتصوير اليهود على أنهم متعطشون للدماء وتواقون للانتقام ، داعيا مخرج الفيلم إلى الظهور عقب العرض ليطلب من المشاهدين عدم إلقاء المسؤولية على اليهود ، وإلا فإن آلام الحب ستتحول إلى آلام كراهية ، لاسيما وأن عرض الفيلم بدأ عشية أربعاء الرماد الذي يسبق الصوم الكبير لعيد الفصح عند المسيحيين ، وما يمكن أن يثير ذلك من مشاعر عداء في أنحاء أميركا ، وقد يصل صداها إلى أوروبا ، وتكريس وحشية اليهود التي مارسوها ضد السيد المسيح وانسحابها على صور المجازر في فلسطين المحتلة .

د- نادر طالب زادة- مخرج إيراني لفيلم **The Messiah**

*** يعرف البعض أن المسيح هو نبي في الإسلام لكن بالطبع هناك بعض العناصر التي ليست معروفة كفاية حول الواقع ، فماذا يحاول أن يظهر فيلمك من هذه العناصر؟**

علي أن أقول إن الهدف الأساسي والرئيسي من هذا الفيلم أن نظهر للعالم وللعالم المسيحي خصوصا أن يسوع نبي عظيم في الإسلام ، وقد تنبأ لمجيء النبي الأخير في الإسلام ، ولنظهر للمسيحيين في العالم أن المسلمين يعرفون الكثير عن يسوع ويعرفون تماما ما ورد في الأناجيل بالإضافة إلى ما ورد في القرآن عنه ، فهناك آيات كثيرة عن المسيح . كان الهدف من الفيلم إظهار أمر كان مخبأ منذ قرون وخصوصا في العقد الأخير ، وهو الاعتقادات الشائعة أن المسلمين يعرفون القليل عن المسيح أو يجهلون كل شيء عن يسوع ، فكان هدفي الأساسي الدخول إلى القصة وهدم الهوة القائمة .

*** لكن المسلمين لا يؤمنون بأن المسيح صلب أو قتل ، كما يؤمن المسيحيون كلهم ، فكيف تمكنت من حل هذه الفروقات في فيلمك؟**

أنا لم أركز كثيرا على الفروقات بل على الأمور المشتركة ، لقد أظهرنا الصلب في الفيلم لكننا حاولنا إظهار ما ذكر في القرآن بأن يسوع قد صلب كأي شخص آخر وقد قام من بين الأموات ، ومجددا في نهاية الفيلم نشهد على قيامة يسوع وانتقاله إلى السماء ، إضافة إلى ذلك هناك رسالة مهمة وهي عودة المسيح الثانية .

فالمسيحيون والمسلمون ينتظرون عودة المسيح ، وبالتالي حاولت أن أبقي الفروقات جانبا وأن أركز على المعتقدات المشتركة والمتناغمة في الديانتين .

*** كما ذكرت ، في القرآن عناصر مهمة جدا ذكرت عن يسوع لا تذكرها الأناجيل وفي القرآن ، مثلا يسوع هو خالق الطيور ، خلق الطيور من الوحل ، فهل تظهر هذه الأمور في فيلمك؟**

أجل بالطبع ، ويجب أن تتذكروا أنه في بعض الأناجيل الأخرى ، فهناك أناجيل كثيرة وجدناها خلال أبحاثنا وذكر فيها أيضا خلق الطيور من الوحل ، لكن بالطبع لم يذكر هذا في الأناجيل الأربعة الأساسية ، ولكن في أي حال في الفيلم أظهرنا عجائب كثيرة لم يرها المسيحيون ولم يعرفها العالم عن يسوع .

*** ماذا عن مريم؟ فمريم في القرآن كانت من الهيكل ، وهذا عنصر لم يذكره الإنجيل ، فهل أظهرت هذا العنصر في فيلمك أيضا؟**

في الواقع لم نذكر مريم كثيرا في الفيلم ، ولكننا ركزنا على السنوات الثلاث الأخيرة من حياة السيد المسيح .

*** يقول بعض المسلمين إنه في الإنجيل وخصوصا القديس يوحنا ، توجد إشارات عن مجيء نبي بعد يسوع ، فهل ذكرت هذا في فيلمك؟**

أجل ، إنها إحدى أهم رسائل الفيلم بأن يسوع أشار إلى مجيء نبي يأتي من بعده ، إنه جزء مهم من رسالتنا بأن يسوع كان النبي الأعظم الأخير لبني إسرائيل ، وهو أشار لمجيء النبي الأخير من بعده .

٥ - الآيات القرآنية

المعركة كانت دائما بين المسيحية واليهود وبين الإسلام واليهود ، ومثلما تآمر اليهود على السيد المسيح تآمروا على النبي محمد ، بعد أن قضى سنوات طوالا في مكة يدعوهم إلى الإخاء ووحدة الإيمان ، لكنهم في المقابل حاولوا قتله وإجلاءه والمسلمين عن المدينة ، وهذا رغم أن الآيات القرآنية في البداية أشارت إلى نعمة الله التي أنعمها على بني إسرائيل ورزقه إياهم من الطيبات ، ورغم قوله : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) 'الأعراف' ، فإن اليهود نقضوا العهد وعصوا الوعد وانقلبوا على الشرائع ، فوصفهم القرآن الكريم بالأنانية والجشع وتبرير كل وسيلة للوصول إلى الغاية بما لا يحتاج إلى فيلم يخرجه مؤمن إلى العالم عن وحشيتهم . . إلى هذه الآيات الكريمة : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا

وكانوا يعتدون) (البقرة) ، (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) (البقرة) ، (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون) (البقرة) ، (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم و فريقا تقتلون) (البقرة) ، (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) (المائدة) ، (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيدهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أ نزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) (المائدة) ، (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون) (المائدة) ، (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (المائدة) ، (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (المجادلة) ، (ولا تقولوا لما اتصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) (النحل) ، (وعلى الذين هادوا حر منا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (النحل) ، (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) (الجمعة) .

ميل غيبسون

ما الجديد الذي جاء به فيلم ميل غيبسون ، وكل من كشف وحشية إسرائيل ويهودها في العالم اتهموه باللاسامية بمن في ذلك العرب الذين هم أساس السامية وأصلها وفصلها ، لا المسيح نفسه سامي ، فكيف يكون لا ساميا ما دام هو الذي قال عن اليهود كما في إنجيل متى : (الذئاب الذين سيضطهدون المسيحيين ويسلمونهم إلى المحاكم ، وسيجلدون المسيحيين) ، مخاطبا اليهود : (كيف ستهربون من عقاب جهنم) ،

متنبئا بأن الفريسين من اليهود (سيقتلون الأنبياء والمرسلين والحكماء والمعلمين) ، مخاطبا اليهود : (فمنهم من تقتلون وتصلبون ، ومنهم من تجلدون في مجامعكم ، وتطاردون من مدينة إلى مدينة حتى ينزل بكم العقاب على سفك كل دم بريء على هذه الأرض) . . كان ميل غيبسون مخرج ومنتج فيلم معاناة المسيح the passion of the Christ يحلم بإنجاز هذا الفيلم منذ ١٤ عاما ، لكنه فضل الانتظار ريثما يصنع شهرة له في عالم السينما ، وتأمين نفقات إنتاج الفيلم التي تجاوزت ثلاثين مليون دولار دفعها غيبسون من جيبه .

ولم يكن غيبسون ، كما يقول ، يتوقع هذه الضجة التي أثيرت حول الفيلم وحدة الانتقادات التي طاولت شخصه وتاريخه الفني ، وهو المسيحي والمؤمن بالكنيسة ، كما يقول ، لكنه يشعر بأن قوة مقدسة تتدخل في الفيلم من خلال ما جعله يعلن أن شركة الإنتاج التي يملكها أيكون برودكشن Icon Production ستكرس نشاطها للأفلام الدينية .

وميل كولومبيل جرار غيبسون ٤٨ عاما ، أسترالي الأصل ، ولد في نيويورك وهاجر وهو في الثانية عشرة من عمره إلى استراليا ، حيث تلقى علومه في المعهد الوطني للفن التمثيلي في سيدني .

اشتهر في الثمانينيات من خلال سلسلة أفلام (مادماكس) العنيفة وجسد شخصيات عاطفية كوميدية ، ومن أشهر أفلامه هاملت و the man without a face, let hall weapon و Forever young إضافة إلى فيلمه Brave Heart الذي حظي بإقبال شعبي كبير ، تناول فيه حياة السير ويليام الذي عرف الاضطهاد لجهوده في تحرير اسكتلندا من الحكم البريطاني ، الأمر الذي أدى إلى اختيار الأميركيين له نجما مفضلا وفق الإحصاء الذي أجرته مؤسسة (هاريس بول) في روشستر نيويورك .

٦ - سمير مرقص ، عضو الهيئة الاستشارية
لبرنامج حوار الحضارات في جامعة القاهرة

*** إلى أي مدى يمكن أن يقرب الفيلم بين المسيحيين والمسلمين تحديدا من العالم تجاه النظرة لليهود ، ولإسرائيل تحديدا كقوة احتلال قاهرة ووحشية؟**

لاشك أن الفيلم في جوهره يركز على آلام المسيح والساعات الأخيرة له يعطي إشارة واضحة لكل من يشاهده إلى دور اليهود في صلب المسيح وإدانتهم إدانة كاملة ، ومن هنا جاءت هذه الهجمة الكبيرة الخاصة من التكتلات اليهودية في الولايات المتحدة الأميركية على أن الفيلم معاد للسامية ، وأتصور أنه من هذه النقطة يمكن أن نجد ملمحا من ملامح التقارب من حيث الحدث التاريخي وموقف اليهود من السيد المسيح كما جاء في الفيلم كحدث تاريخي ، وأيضا يحدث للإخوة في فلسطين ، مسيحيين ومسلمين على حد سواء .

*** لماذا يقوم العالم على ميل غيبسون لمعاداته للسامية وأنه وجه إساءات؟**

أولا الفيلم إنتاج أميركي ، ونعلم ما هي قوة اللوبي اليهودي في أميركا على إثارة موقف عدائي وأيضا شعار معاداة السامية هو جاهز دائما لكل من يحاول أن يقترب إلى اليهود بصورة أو بأخرى ، وبالتالي الأمر واضح ويفسر نفسه تماما ، واليوم نجد أن في الولايات المتحدة الكثير من الهيئات والمؤسسات اليهودية تهاجم الفيلم بشكل عنيف .

*** هل تعتبر هذا الفيلم انتصارا؟ وهل يمكن أن نفتح المجال لكي يكون هناك عمل عربي مشترك على مستوى هذا الفيلم إعلاميا وسياسيا؟**

أنا أتصور ذلك لأن الفيلم أثار غضب اليهود بشكل غير طبيعي وغير متوقع ، وعلينا أن نعلم أن شركات الإنتاج الهوليودي امتنعت عن تمويل الفيلم منذ وقت مبكر ، ونعلم أيضا أن غيبسون قام بتمويل الفيلم كاملا من ماله الخاص وبالتالي يمكن من هذه اللحظة أن نجد تواصلا كبيرا على مساندة مثل هذه الأعمال من جانب ، ونحن مع حرية التعبير بالمطلق ، والدعوة لفكرة مناهضة السامية آن لها أن تتوقف .

*** يعتقد أن هذا الفيلم جمع أو حصل على ٢٦٤ مليون دولار حتى اليوم منذ بدأ عرضه من ٢٥ شباط الماضي قبل ١٩ يوما ، هل برأيك الدافع الوحيد لغيبسون هو الربح المادي أم العمل التجاري أم ماذا؟**

لا يمكن أن يكون الدافع الرئيسي من وراء الفيلم هو المال أو الربح ، فغيبسون كما هو معروف متدين ومحافظ في انتمائه الديني ، وهو يقول عن نفسه إن لديه خبرة خاصة بعلاقته الدينية وبالسيد المسيح ، وأتصور أنه قام بهذا العمل من منطلق إيماني ورسالي إلى الدين المسيحي .

*** الحاخام (يوجين كورن) من رابطة مناهضة التشهير اليهودي يقول لصحيفة (جووش وي) : الفيلم يحرض المسيحيين المحافظين ضد المسيحيين الليبراليين ، بقدر ما يحرض اليهود ضد المجتمع المسيحي بشكل عام ، كيف تقرأ هذا التصحيح أو القول؟**

بالقطع جزء من اللعبة اليهودية داخل الولايات المتحدة بشكل عام هي محاولة اللعب على التناقضات في داخل الكيان الواحد ، بمعنى اللعب على التناقض الكاثوليكي البروتستانتي على سبيل المثال ، خصوصا أن ميل غيبسون كاثوليكي وأن بعض التيارات البروتستانتية وليس الكل بالطبع المتشددة المحافظة الأصولية التي لديها بعض الارتباطات بالمفاهيم التوراتية . . الخ ، ربما قد تكون غير قابلة للفيلم .

ففكرة اللعب على التناقضات بين المسيحيين الليبراليين والمتشددين أعتقد أنها أداة هامة جدا ، ويجدها اليهود بشكل كبير بحيث يحصلون على أكبر قدر من الإثارة ضد الفيلم من خلال درب التناقضات من الكتلة الواحدة وهذا الأمر لابد من الانتباه والالتفات إليه .

*** لماذا الاعتراض على هذا الفيلم ما دام السيد المسيح بذاته يقول إن اليهود أيديهم منجسة بالدم ، وإنهم سيقتلون أنبياء ويصفهم بالذئاب وأولاد الأفاعي ، لماذا لم يعترضوا على كلام السيد المسيح؟ ما هو تعليقك؟**

الموقف المسيحي موقف واضح تماما وبالذات موقف المسيحيين الشرقيين تجاه الموقف اليهودي ، ولا يمكننا أن نغير في الأناجيل ما جاء عن اليهود . كما أنه هناك آيات كثيرة في الإنجيل (عن لسان بولس الرسول وغيره) تتعلق باليهود ولا نستطيع أن نغيره ، ولكن ترك الفيلم أثرا كبيرا فقد وصلت إيرادات اليوم الأول إلى نحو مليون دولار ما أقلق اليهود كثيرا .

*** يقال إن الفيلم يسخر أو يعطل نظرية (صراع الحضارات) ، فالمعركة الآن هي مسيحية إسلامية من جهة ضد اليهودية الإسرائيلية وممارسة اليهود ، فهل يخربط هذا الفيلم نظرية (هيننغتون) ويقلبها رأسا على عقب؟**

بالطبع يمكن أن نجد امتدادات مسيحية إسلامية فيما يتعلق بالموقف من اليهود سواء تاريخيا أو فيما يحدث من خلال الواقع العربي الآن في فلسطين المحتلة من ممارسات إسرائيلية تجاه فلسطين المحتلة ومن ممارسات إسرائيلية تجاه الفلسطينيين وتجاه العرب بشكل عام ، ولكن علينا إدراك فكرة أن من مصلحة اليهود هذا الصراع ، فيما يحدث هذا الفيلم تواصل من جانب ولكن من جانب آخر سيحاول اليهود الصراع ، وكما ذكرنا سابقا اللعب على التناقضات في الطائفة الواحدة .

٧ – الفاتيكــان

لم يكتف اليهود بالحصول على وثيقة تبرئة من الفاتيكان بر أتهم من دم السيد المسيح ، لكنهم طلبوا المزيد ، وهذا ما حصل عندما أصدر الفاتيكان عام سبعة وتسعين وثيقة تساعد ما وصفه قداسة الباب على شفاء الجروح ، تضمنت أسفا وندما على ارتكبه بعض أبناء الكنيسة من ممارسات ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية ، فهل يتمكن فيلم (معاناة المسيح) لميل غيبسون من إعادة الصورة إلى مكانها الصحيح عن الحقيقة؟ . . كل الحقيقة؟

جاءت وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح التي أصدرها المجتمع الفاتيكاني في ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٦٥ بعد عملية استغلال صهيونية لما يسمى عقدة الذنب الأوروبية المسيحية الناتجة عما أطلق عليه المحرقة النازية ضد اليهود .

بدأت عملية الاستغلال الصهيونية لانتزاع وثيقة التبرئة باتهام قداسة البابا بيوس الثاني بالسكوت عن الممارسات خلال الحرب العالمية الثانية ، وطالبت الحركة الصهيونية الفاتيكان منذ الزيارة البابوية إلى الأراضي المقدسة عام ١٩٦٤ ، ولم تكن القدس كلها محتلة ، بإصدار الفاتيكان وثيقة تبرئة كاملة شاملة لليهود من دم المسيح ورفع اللعنة عنهم في الصلوات وعدم نعتهم بالشعب القاتل ، على أساس أن استمرار هذا الموقع هو أحد أسباب اضطهاد اليهود والكراهية لهم .

وتبع ذلك فكرة إصدار ما عبرت بوثيقة الندم والاعتذار التي أطلق عليها اسم (نحن نتذكر) ، وهي الفكرة التي أخذت طريقها إلى التنفيذ خلال مؤتمر عقد في روما عام ١٩٩٧ وفيه قدم البابا يوحنا بولس الثاني وثيقة بهذا الصدد تصف اليهود بالشقيق الأكبر ، إشارة منه إلى أسبقية العهد القديم على العهد الجديد .

٨ - اليهود في المسيحية

لن يستمع اليهود إلى النبوءات الواردة في العهد القديم بشأن مجيء المسيح ، وهو الحدث الذي تنبأ به أنبياؤهم مثل أشعيا القائل : (ها العذراء تحبل وتلد وتحل عليه روح الرب ويقضي بالمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض) ، وبدلا من اعتراف اليهود بالسيد المسيح قاوموا دعوته وحكموا عليه بالإعدام ، بل إن التلمود اليهودي ينص على أن قتل السيد المسيح أمر إلهي ، وكذلك الحرب المتواصلة ضد المسيحيين كما في ما بعد على المسلمين ، لذلك لن يكون مستغربا أن يقول السيد المسيح وبولس الرسول هذه الأقوال عن اليهود : (لماذا تضطهدني؟ أصعب عليك أن تقاومني؟ أنا يسوع الذي تطرده أنت ، قم وقف على قدميك لأنني ظهرت لك لأجعل منك خادما) ، وهكذا تحول بولس الرسول من خدمة اليهود إلى خدمة المسيح ، الذي يتابع كلامه لبولس وعلى طريق دمشق قائلا : (سأنقذك من شعب إسرائيل لنفتح عيونهم ليرجعوا من الظلام إلى النور ، من سلطان الشيطان إلى الله) .

وانقلب بولس ضد اليهود الذين قبضوا عليه وحاولوا قتله ، ولكن الله أعانه وقال بولس لهم : (وأنت يا من تسمي نفسك يهوديا يا من يعلم غيره ألا تعلم نفسك . . تنادي لا تسرق وتسرق أنت ، وتقول لا تزن وتزني أنت ، تستنكر الأصنام وتنهب

هياكلهم ، تفتخر بالشريعة وتهين الله بعصيان الشريعة) ، ويتابع بولس عن اليهود : (فاضت نفوسهم حسداً وقتلاً ومكراً وفساداً) .

وكان في ذلك يؤكد صرخة السيد المسيح ضد اليهود ، الذي توقع لهم الويل لأنهم يبنون قبور الأنبياء آباؤهم هم الذين قتلوهم ، مخاطباً إياهم : (يا أولاد الأفاعي من علمكم أن تهربوا من الغضب الآتي) ، قائلاً عن هياكلهم : (إن الله قادر أن يجعل من حجارته أبناء لإبراهيم وإن أصول اليهود شجرة لا تعطي ثمراً وستقطع بالفأس) .

د . يوسف كفروني

عضو مجلس أعلى في الحزب السوري القومي مدير معهد العلوم الاجتماعية ومتخصص في الحركات الصهيونية والفكر الديني .

*** كما هو معروف فمهنة اليهود هي القتل والتآمر ، فتآمروا على السيد المسيح وحاولوا قتل النبي محمد (ص) ، والآن ينفذون المجازر بحق الشعب الفلسطيني ، كيف تقرأ هذه الحالة؟**

أنا أعتبر أن اليهود كديانة تمثل مرحلة بدائية أو طفولية في الديانات القديمة أو الديانات التوطنية ، حيث كان لكل قبيلة توطنها الخاص أو إلهها الخاص ، وتتميز اليهودية عن الديانات الكونية ، ولا أقول السماوية ، هذه الديانات تتميز بالشمولية وبرسالة مفتوحة إلى العالم وبقيم أخلاقية منفتحة ، فيما اليهودية نوع من الحلولية من الديانة اليهودية إلى أن الله يحل من شعب معين أو في أرض معينة .

وهناك أيضاً خصوصية للشعب اليهودي بأنه شعب خاص اختاره الله وميزه عن سائل الشعوب ، وهناك صفات لإله لا تليق بأي مجتمع راقٍ يطلق عليه هذه الصفات على إله .

*** ما هي هذه الصفات؟**

إذا قرأنا صفات إله في كتاب التوراة نجد الرب الانتقام والجنون وغضبه يصعد إلى أنفه ويندم ويغضب ، فالتصور اليهودي للإله تصور بشري ومختلف حول مفهوم الألوهية الراقية ، عدا عن الخصوصية فهناك تصور شبه مادي لمفهوم الإله .

أما الله في المسيحية فمعروف بأنه لكل الناس وإله محبة ، والله في القرآن هو إله ودود وإله سلام وللعالم كله غير متخصص بشعب معين ، هذه النقطة التي تميز الديانات الأخرى عن اليهودية .

آيات المسيح باليهودية

(أيديكم تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم ، شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر ، فعل الظلم في أيديهم ، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي ، في طريقهم اغتصاب وسحق ، طريق السلام لم يرفعوه ، وليس في مالكم عدل ، جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة ، وكل من يسير فيها لا يعرف سلاماً) ، هذه الأقوال ليست من كتاب المسيحية ولا من كتاب الإسلام ، لكنها رأي نبي اليهود (أشعيا) بقوله كما وردت حرفياً في العهد القديم ، فلماذا يحتاج العالم إلى غير أنبيائهم ليكتشف آثامهم وإلى المزيد من رأي أنبياء اليهود باليهود ، كما في نصوص في العهد القديم لأشعيا وأرميا وميخا وهوشع وعاموس .

آيات من العهد القديم

(أنتم أكلتهم الكرم وسُلب البائس من بيوتكم يا نسل الفاسق والزانية ، أنتم أولاد المعصية ونسل الكذب) (أشعيا) .

(أيها الشعب الثقيل الإثم ، نسل فاعلي الشر ، أيديكم ملآنة دماً ، رؤساؤكم كل واحد منهم يحب الرشوة ، لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم) (أشعيا) .

(كخزي السارق إذا وُجد ، هكذا خزي بيت إسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم) (أرميا) .

(اسمعوا يا قضاة بيت إسرائيل الذين يبنون صهيون بالدماء ، وأورشليم بالظلم ، رؤساؤهم يقضون بالرشوة وكهنتها يعملون بالأجرة) (ميخا) .

(حرثتم النفاق ، حصدتم الإثم ، أكلتم ثمر الكذب) (هوشع) .

(يخزنون الظلم والاغتصاب في قصورهم) (عاموس) .

(طوفوا في شوارع أورشليم ، هل تجدون إنسانا أو يوجد عامل بالعدل؟ لما أشبعتهم زنوا وفي بيت زانية تزاحموا ، صاروا أحصنة متخمة سائبة صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه . . . تسرقون تقتلون وتزنون وتحلفون كذبا) (إرميا) .

(هو ذا رؤساء إسرائيل ، كانوا فيك لأجل سفك الدم ، اضطهدوا اليتيم والأرملة وعملوا رذيلة ، رؤساء كذئاب خاطفة خطفا لسفك الدم) (حزقيال) .

اللاسامية

في كانون الأول/ ديسمبر عام ثمانية وتسعين ، أقرت الأمم المتحدة توصية باعتبار اللاسامية نوعا من أنواع التمييز العنصري ، بعدما ألغت قرارا سابقا لها بوصم الصهيونية بالعنصرية . ولم تواجه العنصرية الإسرائيلية أي رادع أميركي أوروبي خوفا من تهمة اللاسامية ، وهو الخوف الذي عطل أعمال مؤتمر دربن في جنوب أفريقيا ، وتقضي بقبول حق إدانة أي باحث أو مؤرخ يشكك في صحة المصادر الصهيونية حول ما تسمى بالمحرقة ، أو يقلل من مصداقيتها ، لكن المحارق وحرائق إسرائيل ضد العرب وشعوب العالم لا شيء عنها في قرارات الأمم المتحدة سوى الدعم في مجلس الأمن بالفيتو الأميركية أو بالنعم الأوروبي ، وأحيانا السكوت العالمي بالامتناع عن التصويت .

المعاداة للسامية

ظهر اسم اللاسامية أو المعاداة للسامية لأول مرة عام ١٩٧٣ في كتاب بعنوان (أنصار اليهودية على الجرمانية) لمؤلفه وليهيام ماره ، من خلال القول الشهير في القسطنطينية بأن الشعب الذي قتل المسيح خصم يجب تحطيمه ، ثم ظهرت كتابات منها (اللاسامية تاريخها وأسبابها) لمؤلفه برنارد لازار ، الذي رأى أن سبب معاداة السامية في التاريخ كان دائما ولا يزال معاداة اليهود للمجتمعات .

إن خصوصية الشعب اليهودي وانطوائه على أضيق التفاسير وأكثرها جموداً في تفسير الشريعة ، وفرت دائماً الذرائع السهلة لهذا الاتهام ضد مجموعة تتخندق وراء سياج من التفسير الخاطئ للعهد القديم وملحقاته من الميشنا إلى التلمود ، ولعل الهجوم الأكبر على اليهود جاء على لسان أبناء اليهود أنفسهم من إرميا وأشعيا إلى عاموس وهوشع وحزقيال .

وبعدهم وجه كاتب يهودي نداء إلى المؤتمر الصهيوني عام ١٩٢١ ، خاطب فيه بني قومه اليهود : (إذا بقيتم تتباهون من أن تحيوا على طاعة الله ، فإن حياتكم جريمة وخدعة) . وبعده بنحو نصف قرن جاءت عبارة الجنرال ديغول الشهيرة إثر العدوان الإسرائيلي على العرب عام ١٩٧٦ : (شعب ذو نزعة متعالية عنصرية ومغرورة) .

حتى الكاتب اليهودي يوري أفنيري يقول : ليس كل من ينتقد إسرائيل معادياً للسامية ، فهذه تهمة خاطئة وتؤدي إلى نتائج عكسية . وكذلك هناك العديد من الإنجيليين الأصوليين الأميركيين معادين للسامية أكثر من سواهم ، لاعتقادهم أنه عشية مجيء المسيح الثانية يجب أن يعتنق كل اليهود المسيحية وإلا فمصيرهم الإبادة الشاملة .

رؤوف أبو جابر

رئيس المجلس المركزي الأرثوذكسي للأردن وفلسطين

***لابد أن لديك تعليقاً على هذا التقرير ورأياً في مفهوم معاداة السامية؟**

الاتهام هذا الذي يلغيه اليهود لكل من لا يمشي معهم في أفكارهم العدوانية قضية تهم العالم بأجمعه ، وهي الآن من رؤوس العناوين ، وسوف نرى الكثير من هذه الهجمات على الأمن على الأشخاص الذين يحاولون إحقاق الحق والتكلم بكل إيجابية بناءة عن الحقوق الفلسطينية التي اعتدى عليها اليهود خلال نصف قرن ، لذلك علينا نحن العرب أن نواجه هذه المسألة بكل انفتاح وجدية وأن نعطي العالم الفكرة الصحيحة عن هذه التعددية والوسطية التي نعيشها في بلادنا بين المسلمين والمسيحيين ، والتي لم يكن منها أي غالب أو مغلوب على مر الزمن ومنذ مجيء الإسلام .

*** اعتراف من إسرائيلي يهودي (يوري إفنيري) يقول إن وصف كل منتقدي إسرائيل بالمعادين للسامية أمر خاطئ ويؤدي إلى نتيجة عكسية ، هل تعتقد أن فيلم ميل غيبسون قد يخفف مستقبلا من حساسية اليهود تجاه منتقديهم؟**

هذا الكاتب الإسرائيلي هو رجل منفتح على السلام وهو صاحب عقلية ليست على النمط اليهودي المعهود ، ولذلك نحن نسمع هذه الشهادة على مستوى مختلف عن الذي نراه من أوساط اليهود الآخرين المتعصبين ، والعدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني والأرضي الفلسطينية هو مثال موحد على هذه العنصرية ، لذلك ربما الزمن ومع مجيء شارون لم يكن مواتيا لحصول تعديل جوهري حقيقي في الواقع الإسرائيلي نحو الاعتدال ، وهناك أمن يجب أن نحافظ عليه وهذه النظرة الإسرائيلية الضيقة إلى الأمن دون النظر فعلا إلى إمكانية العيش المشترك هي التي جعلتهم يبنون هذا الجدار العازل الذي يعترض عليه كل العالم ، ليس فقط لأنه يبنى بل يبنى في أرض الغير ولكسب المزيد من الأراضي .

*** ألا تعتقد أنه يجب على الإعلام العربي وجامعة الدول العربية وأموال الخليج المعتمد عليها والأنظمة العربية اغتنام هذه الفرصة ، حيث هناك نقمة على أميركا انطلاقا من فيلم معاناة المسيح لما حصل من ردة فعل قوية عليه؟**

معاناة المسيح فيلم يصور حادثة مقدسة لدى المسيحيين ، وفي اعتقادي أن تكون ردة الفعل من العالم العربي بجميع إمكانياته إظهار هذا العيش المشترك الذي كان سائدا ولا يزال بين المسيحيين والمسلمين ، يجب أن يعرف العالم أن الأرض الذي نشأ فيها السيد المسيح وواجه هذه المعاناة ، بكل روح مسيحية طيبة إنما هي لهذه الأديان التوحيدية وأنها أيضا مجال مشترك لعيش جيد بين أناس يتمتعون بأديان مختلفة .

التعددية الدينية التي نتمتع بها يجب أن تكون هي العنوان لحديثنا إلى العالم لكي يعلموا ما هو التعنت الإسرائيلي ، وأن هذه العنصرية الإسرائيلية والتي سيعاني منها العالم ليس فقط بمعاداة اليهود إلى كل من لا يتكلم حديثهم ويسير معهم ومفهومهم .

*** كيف ترى موقف جورج بوش وإدارته من التضامن مع مخرج الفيلم؟ هل ترى من ذلك سهما من صميم الموقع الصهيوني من قبل المسيح تحديدا؟**

أميركا هي بلد الأفلام ، وجميع هذه الأفلام أمور عارضة تصنع مع الزمن ، ولكن المهم من الموضوع أن يكون هناك أثر جيد لهذا العرض لفيلم يصور حياة المسيح وآلامه ومعاناته ، وأنا أعتقد أن الصحوة التي حصلت في إسبانيا رغم الكارثة التي تعرض لها الحزب اليميني من الحكم سوف يكون لها تأثير على مناطق أخرى من العالم ، والرئيس بوش محافظ ويعتمد على جهاز المحافظين وتصوراتهم وتأملاتهم الرجعية ، وأعتقد أن أميركا التي هي فعلا كبيرة هذا العالم سوف تصحو إلى هذه الرجعية والمحافظة على خط قديم بال من التعامل مع الشعوب لن يفلح أبدا .

*** ذكرت أن أميركا هي مدينة الأفلام ودولة الأفلام والسينما ، ولكن هناك أفلاما ومسلسلات أنتجها العرب مثل (فارس بلا جواد) ، و(مريم المقدسة) وفيلم (بروتوكولات حكماء صهيون) علها أثارت زوبعة ، حتى أن السفارة الأميركية في بيروت تدخلت في قصة تلفزيون المنار واعترضت وتكلمت الإدارة الأميركية بلسان ناطقيها باعتراض ليس حول الوحشية الإسرائيلية التي تمارس بل حول الأفلام التي تتحدث عن هذه الوحشية؟**

هذه الاعتراضات التي تقوم بها أميركا تتم عن طريق عدم اعتراضهم عن وجود ديمقراطية حقيقية وعدم وجود رغبة حقيقية في السلام وهذا بالطبع ادعاء كاذب ، والعرب أظهروا في الماضي أنهم راغبون في السلام ولديهم المقدرة على القبول بالفريق الآخر ، ولكن المشكلة أن الفريق الآخر لا يقبل بها ، وأميركا بكل أسف منحازة كليا إلى إسرائيل وهي بهذا تخطئ خطأ كبيرا لأن الدول العظمى يجب ألا تكون منحازة ، وروما في تاريخها مثل صارخ على الانحياز أدى إلى الانهيار .

*** هل ترى أنه في مواجهة هذا الانهيار الأميركي لابد من تأليف مجموعة عربية تتعقب مجرى الحرب ، كما فعلت إسرائيل بتعقب مجرى الحرب النازية ابتداء من فيلم ميل غيبسون؟**

هناك حالياً توجه نحو هذا الموضوع ، ونحن أحياناً نقصر في المتابعة وفي المثابرة على الفريق الذي يجب أن نتبعه في سبيل الحصول على أقل ما يمكن للحفاظ على حقوقنا ، جرائم الحرب قضايا بشعة وهي كثيرة من الجانب الإسرائيلي ، والفلسطينيون أقدر الناس على إعطاء العالم هذه الصورة البشعة عن المعاناة التي يتحملونها بسبب الاحتلال الإسرائيلي ، ولذلك يجب علينا جميعاً أن نكون بمساندة هذا اللوبي أو هذه الهيئة والتي يجب أن تكون على أعلى مستوى من المسؤولية وأعلى مستوى من المقدرة على تتبع آثار هؤلاء الأوغاد وجلبهم للمحاكمة .

*** هل ترى أن هذا الفيلم يقوم بتحريض وإغضاب اليهود في العالم؟ وهل سيؤثر على الرئيس بوش وانتخاباته المقبلة؟**

العناصر التي ستؤثر على بوش في هذه الانتخابات ستكون كثيرة ، خصوصاً بعد التطورات الأخيرة في العراق وإسبانيا وفي أميركا نفسها ، ربما يكون الفيلم أحد عناصر هذا التأثير لكن بوش سوف يحاول استخراج الآراء ، ويرون إذا كان هناك تأثير شديد على الناخبين اليهود ، علماً أن اليهود كانوا دائماً يلعبون الورقتين وجزء كبير منهم كان عماد الحزب الديمقراطي في وقت ما والآن بدؤوا يقسمون أنفسهم حتى يكونوا دائماً من جانب الرابح ، ولكن أنا أقول إن زوبعة هذا الفيلم سوف تمر بإنهاء عرض الفيلم خلال شهرين أو ثلاثة .

١٠ - أهم الأشخاص الذين هاجموا إسرائيل

من ألفرد ليلنتال مؤلف كتاب (ثمن إسرائيل) ، إلى روجيه غارودي مؤلف (مأزق إسرائيل) ، مروراً بمهاتير محمد وحتى اليهودي النمساوي الرئيس برونو كرايسكي والكاتب اليهودي الإسرائيلي يوري أفنيري ، السلسلة طويلة من الذين تعرضوا للهجوم أو العقاب بسبب ضغط اللوبي الإسرائيلي ، وكان بول فيندلي ممثل ولاية إيلينوي في الكونغرس من بين أفضل من وصف اللوبي في كتابه (من يجرؤ على الكلام) ، الذي أشار فيه إلى أنه يُرهب حتى رؤساء جمهورية أميركا ، والكونغرس الأميركي ينفذ أوامره ، والجامعات تتجنب انتقاده ، والقادة العسكريون ينحنون أمامه ، داعياً أميركا إلى عودة الوعي ، فهل يبدأ فيلم ميل غيبسون بوضعها على طريق العودة! .

عندما يتعلق الأمر بالغضب اليهودي فإن الدنيا في أميركا وأوروبا تثور ، ويتعرض من يوجه الاتهام لليهود إلى الملاحقة والمحاكمة وربما السجن .

ولكن عندما يتعلق الأمر بالغضب المسيحي أو الإسلامي فإن الدنيا تهدأ ، وقد يتحول الاتهام إلى الأبرياء ، والدليل أنه عندما كتب سلمان رشدي آياته الشيطانية التي شهر بها بالإسلام سارعت بريطانيا إلى حمايته ، وشن الغرب حملة شعواء ضد الدول الإسلامية والعربية التي استنكرت كتاباته المسيئة إلى الدين الحنيف وإلى النبي الكريم .

والأمر ذاته حصل مع الكاتب الفرنسي الذي اعتنق الإسلام روجيه غارودي ، وتعرض لانتقادات يهودية ، ووجهت إليه تهمة القدح العنصري ومعاداة السامية ، بل وحكم عليه عام ١٩٨٨ لدى صدور كتابه (الخرافات الأساسية للسياسة الإسرائيلية) ، مع أنه يكتفي الكتاب بانتقاد الجرائم ضد الإنسانية ، قائلا إن اليهود في المحرقة المزعومة جعلوا أنفسهم وحدهم ضحايا ، مع أن الذين تسببت لهم حروب هتلر بالموت كانوا أكثر من ستين مليون نسمة .

ومثله كان مصير الأب بيار ، الذي دافع عن حق روجيه غارودي بالتعبير عن رأيه ، فأرغم على الانسحاب من الحياة العامة ، وطوى جراحه وغادر فرنسا إلى أحد أديرة إيطاليا ، وهو الذي لطالما أعطى فرنسا الكثير ، وكان بطلا للفقراء والمعوزين والجائعين ، ولسان حال الصامتين ، مع ذلك تحول بين ليلة وضحاها إلى مادة وحيدة في حملة شعواء شنتها ضده كبريات الصحف الفرنسية يمينية ويسارية ، دينية وعلمانية ، محافظة وليبرالية ، بسبب عدم سكوته على تجني اليهود على غارودي .

وها هو الأمر يتكرر مع مخرج (معاناة المسيح) ميل غيبسون ، الذي لم تبد شركات التوزيع الفرنسية أي حماسة لعرض فيلمه على شاشات دور السينما في فرنسا ، تخوفا من ردة الفعل اليهودية ، لاسيما وأن تجربة الممثل الفكاهي الفرنسي (ديو دونييه) لا تزال ماثلة للعيان بسبب انتقاده اللوبي اليهودي .

هذا عدا عن تدخل واشنطن مرارا لمنع نصوص وحلقات تلفزيونية مثل (مريم المقدسة) الذي بثته شاشة تلفزيون المنار ، ومسلسل (فارس بلا جواد) للفنان محمد صبحي وتناول فيه (بروتوكولات حكماء بني صهيون) .

الأمر ذاته حصل مع غيبسون الذي تعرض لضغوط اللوبي اليهودي لحذف أهم عبارة في رواية الفيلم (دمه علينا وعلى أولادنا) (إنجيل متى) .

١١ - خلاصة الفصل الثاني

(ولتجد ن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) صدق الله العظيم .

هكذا أيضا في الإنجيل المقدس (أورشليم يا قاتلة الأنبياء) ، واليهود كما في الإنجيل المقدس أيضا (الذئاب وأولاد الأفاعي) . ولم يكن فيلم ميل غيبسون إلا صدمة للضمير الغربي ويقظة للعدل في كل بلد في العالم ، فهل يكون منطلقا للعرب ، سياسة وإعلاما ، كي يقوموا هم أيضا بدورهم ويساهموا في جهد قام به مخرج ومنتج غربي ، ولماذا نترك إسرائيل تعربد في العالم ، وتحت ذريعة المحرقة تتدخل في شؤون كل بلد بحثا عمن تسميهم مجرمي الحرب النازيين ، فيما العرب صامتون متواكلون عن متابعة وتقصي وتعقب مجرمي الحرب الإسرائيليين للبحث عنهم في كل رقعة في الأرض والتشهير بهم وكشف جرائمهم وتقديمهم إلى المحاكمة ، وأين أصبحت بالمناسبة محاكمة شارون وبما نتفاءل ، وأميركا نفسها لا تعترف بمحاكم دولية حتى وأنها لا تطبق قوانينها ضد اليهود ، بل تكتفي بمطاردة العرب وإلصاق التهم بهم ظلما وافتراء وعدوانا . هذا هو المغزى الكبير من فيلم (معاناة المسيح) ، معاناة الإنسانية كلها ، في انتظار إحقاق الحق وإزهاق الباطل .

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

شـارون

١ - المقدمة
٢ - سيرة شارون الذاتية
٣ - مجازر شارون
٤ - شارون في المنظار الفلسطيني
بسام.أبو الشفعية
٥ - مرشد المجازر الإسرائيلية (فلاديمير جابوتنسكي)
قراءة خالد الفاهوم لفكر جابوتنسكي
٦ - الانسحاب من غزة
موقف حنان العشراوي من الانسحاب
٧ - تحليل نفسية شارون
محمد النابلسي
٨ - الفضيحة المالية
٩ - شارون وقيم العدالة والقانون الإسرائيلي
ناهض الريس
١٠ - خلاصة الفصل الثالث
ملحقات
أ- الوثيقة الصهيونية لتفتيت الأمة العربية
محمد سيف الدولة
ب- الصهيونية المسيحية الأصولية
المطران يوحنا إبراهيم متروبوليت حلب

الفصل الثالث

شــارون

١ - المقدمــة

لماذا شارون ونحن نبحث في الصهيونية المسيحية؟ ماذا يعني اختيـاره؟ إلـى أيـن سيصل بنا البحث في تحليل شخصية شارون؟ كيف يراه الفلسطينيون؟ وكيـف يفهمـه قادتهم؟ ماذا يعرفون عنه؟ فيلم آلام المسيح جاء لتسليط الأضـواء علـى كبـار الصهاينـة ومشاريعهم التدميرية ومنهم شـارون الـذي يـرى الصهيونيـة المسـيحية ، فكـرا وعمـلا ، حركة وتجربة ، قولا وفعلا ، رأيا وممارسة .

لفهم الفكر الصهيوني المدمر ولمعرفة نوايا وأسرار الصهاينـة فـي كتـاب الصهيونيـة المسيحية ، كان لابد من الوقوف على حقيقـة التفكـير الصـهيوني المتـأصل فـي أعمـاق اليهود الصهاينة ، كما كان لابد من تشريح شخصية شارون ومحاولة فـهم بعـد تفكـيره من خلال الفصـل الثـالث مـن هـذا المؤلـف ، هـذا الفصـل الـذي جـاء ليحمـل عنـوان (شارون) متضمنا أبحاثا ودراسات ، محطات ومقابلات ، حاولت جمع ما يمكـن جمعـه لمعرفة الرجل الأخطر في إسرائيل ، فمن هو آرييل شارون؟

٢ - سيرة شارون الذاتية

من هو آرييل شارون؟ أين ولد.وكيف نشأ وما هي مسيرة حياتـه والمنـاصب التـي تولاها ، وهو الذي حتى عندما يكـون وزيـرا فـي حكومـة يسـلك طريـق المعارضـة التـي كانت باستمرار طابعا رئيسيا في حياته .

فقـد عـارض شـارون معـاهدة كـامب ديفيـد بـين مصـر وإسـرائيل عـام ١٩٧٩ ، وعارض في تصويت حكومي عام ١٩٨٥ انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان ، مثلما

عارض عام ١٩٩١ ذهاب الحكومة الإسرائيلية إلى مؤتمر مدريد ، وعام ١٩٩٣ عارض شارون اتفاقية أوسلو ، وبعدها معاهدة وادي عربة بين الأردن وإسرائيل ، كما عارض اتفاقية أوسلو -٢ ، وبروتوكول الخليل ، وطريقة انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان ، معارضة . . معارضة . . معارضة . . . ، والشيء الوحيد الذي يؤيده شارون من دون أي تحفظ هو القتل والقتل . . وتهجير كل الفلسطينيين من كل فلسطين .

ماذا في حياة شارون؟

* وُلد شارون في ٢٧ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٢٨ ، وهو أرمل وأب لكل من أومري وجلعاد .
* درس التاريخ والعلوم الشرقية في الجامعة العبرية في القدس ، وهو يحمل شهادة الحقوق من جامعة تل أبيب ، ويتقن العبرية والإنكليزية والروسية .
* خدم في (شرطة البلدات العبرية) ، وكان قائد قسم في لواء ألكسندروني خلال حرب نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ، وأصيب في بطنه برصاصات عدة لا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم .
* أصيب في معركة اللطرون ، وعيّن قائد سرية عام ١٩٤٩ ، وضابط استخبارات عام ١٩٥١ ، ثم قائداً للقوة ١٠١ في العام ١٩٥٢ .
* قاد عام ١٩٥٦ كتيبة مظليين وشارك في حرب سيناء ، كما شارك في حرب عام ١٩٧٣ بوصفه لواءً احتياطياً واكتسب سمعة مدوية في الكيان الصهيوني باختراقه ثغرة الدفرسوار الشهيرة الأمر الذي دفع به إلى دخول عالم السياسة .
* حصل على رتبة جنرال عام ١٩٦٩ ، وعيّن رئيساً لقسم التوجيه في الجيش ، وشغل منصب قائد فيلق مدرعات خلال حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، ثم عيّن قائداً للمنطقة الجنوبية عام ١٩٦٩ .
* انتخب عضواً في الكنيست عن حزب الليكود منذ عام ١٩٧٤ ، وكان مستشاراً خاصاً لإسحاق رابين رئيس الحكومة منذ حزيران ١٩٧٥ وحتى آذار ١٩٧٦ .

* شكل حزب (شلوم تسيون) عام ١٩٨٠ ، وحصل على مقعدين ، واندمج هذا الحزب مع حركة (حيروت) في إطار حزب (الليكود) .
* تسلم منصب وزير الزراعة في حكومة مناحيم بيغن الأولى ، وترأس اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ثم عين وزيرا للدفاع في الكنيست العاشر .
* انتخب رئيسا لليكود بعد هزيمة نتنياهو في انتخابات عام ١٩٩٩ ، وانتخبه الليكود في كانون الأول عام ٢٠٠٠ مرشحا له للمنافسة في الانتخابات على رئاسة الوزراء ، وخرج على الليكود ليؤسس حزب كاديما الذي حقق نجاحا طفيفا في عام ٢٠٠٥ في ظل غياب المؤسس الحقيقي الذي دخل في غيبوبة ثم موت سريري مازال حتى الآن .

٣ - مجازر شارون

منذ أن أصبح أرييل شارون وزيرا للدفاع في أوائل الثمانينيات ، شرع بتنفيذ سياسة القبضة الحديدية ، حيث بدأ القتل والقمع والاعتقالات في مسلسل متنقل من قرية قبية ، ودير ياسين ، إلى غزة ، وسيناء ، إلى بيروت ، ويوم زار (شارون) الحرم القدسي تحت ذريعة أن من حق كل يهودي ، زيارة جبل الهيكل ، كانت الشرارة الأولى لاندلاع الانتفاضة الثانية ، والتي توجت حياة شارون العسكرية الطويلة المليئة بالاستفزازات والمجازر ، التي توالت من غزة إلى جنين ، والتي كان آخرها وليس نهايتها اغتيال شيخ فلسطين أحمد ياسين .

كانت البداية عندما انضم شارون عام ١٩٤٤ وهو في السادسة عشرة من عمره إلى عصابة الهجانا التي كانت تقوم بترويع الفلسطينيين بالأعمال الإرهابية الوحشية ، وهي العصابة التي أصبحت فيما بعد النواة الأولى لجيش الاحتلال الصهيوني ، كما شارك شارون في مذبحتي دير ياسين واللد ١٩٤٩ .

وفي عام ١٩٥٢ طلب من إدارة الجيش الصهيوني السماح له بتكوين سرية عسكرية من اليهود المحكوم عليهم بجرائم قتل والذين يمضون أحكاما طويلة في السجون الإسرائيلية ، بحيث يكون لتلك السرية مهمات خاصة بعيدة عن مهمات الجيش الإسرائيلي . واقتنع قادة الجيش بوجهة نظره فكون تلك السرية وأطلق عليها اسم

(القوة- ١٠١) واسمها الحركي المنتقمون ، وكانت أولى عملياتها مهاجمة قرية قبية الفلسطينية الحدودية حيث أمطرتها بوابل من المدفعية فانهارت المنازل الفقيرة على رؤوس أصحابها ، ثم شرعت بعد ذلك في قتل من بقي حياً من القصف المدفعي ، وكانت الحصيلة ٦٩ فلسطينياً وهدم ٤١ منزلاً .

وفي حرب ٦٧ أمر شارون بقتل مجموعة من الأسرى المصريين والعمال السودانيين ، وبعد أن كان العالم يعتبر هؤلاء الأسرى في عداد موتى الحرب قبل أن يأتي الكشف عن وجودهم وتصفيتهم في مجزرة جماعية قادها شارون بشهادة ضباط احتياط إسرائيليين من الذين شاركوا في هذه المجزرة ، وفي تلك الحرب التي قاد فيها شارون سلاح المشاة قام بتدمير كامل مخيمات قطاع غزة للتخلص من أزقتها الضيقة حتى لا يتمكن المقاومون العرب من القيام بعمليات .

كما قامت وحدة اغتيالات خاصة أنشأها شارون تحت اسم (وحدة يمون) عام ١٩٧١ بقتل عشرات الفدائيين وكانت بأوامر شارون توقف من يتم أسرهم من الشبان الفلسطينيين وتطلق عليهم النار حيث كان شارون يرد : (لا نريد أسرى نريد قتلى ، أطلقوا النار على أي فلسطيني لمجرد الاشتباه به ، وبعد ذلك ضعوا بجوار جثته قطعة سلاح أو قنبلة) .

وفي صباح ١٩٨٢/٩/١٧ استيقظ سكان بيروت ومعهم العالم على المجزرة التي قادها في صبرا وشاتيلا والتي ذهب ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف لبناني وفلسطيني من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ واعتبرت لجنة كاهان شارون المسؤول عن المذبحة بصورة مباشرة واستقال من منصبه كوزير للدفاع وأقيل رئيس الأركان رفائيل إيتان واعتبر رئيس الوزراء مناحيم بيغين العمل السياسي وصولاً إلى المذابح الأخيرة في مخيم جنين التي تكاد تختصر سيرة أرييل شارون الإجرامي ، فقد جعل شارون من المخيم الذي كان يسكنه نحو خمسة عشر ألف فلسطيني مجرد آثار أطلال ، ولم يكتف بذلك بل منع فرق الإسعاف من الوصول إلى مئات الجرحى تاركاً إياهم ينزفون حتى الموت ، في الوقت الذي هدم الأماكن الدينية والبيوت على أهلها أحياء وحال دون استخراج الجثث من تحت الأنقاض واعتقل ونكل بالآلاف ومنع وصول الماء والغذاء

والدواء وحظر على رجال الإعلام الاقتراب من هذه المدن والمخيمات التي اجتاحها كي يحول دون وصول أخبار المذابح التي اقترفها جيشه إلى الرأي العام العالمي ، وكان هذا على مرأى ومسمع بل مباركة من رجال الإدارة الأميركية وعلى رأسهم جورج بوش ، إضافة إلى مسلسل الاغتيالات الطويل والمستمر الذي كان آخره لا نهايته اغتيال زعيم حماس الشيخ أحمد ياسين .

٤ - شارون في المنظار الفلسطيني

بسام أبو شريف مستشار عرفات

*** بصفتكم واكبتم اجتياح شارون لبيروت ولبنان وقال في حينها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وسط الركام إنه من هنا ستولد الدولة الفلسطينية ، هل كانت رؤيته في محلها حسب ما تعتقد؟**

الرئيس عرفات ذو رؤية واضحة بالنسبة إلى المستقبل وله في قلبه إيمان عميق بأن هذا الشعب لابد أن ينال حريته واستقلاله ، بالطبع الرؤية والإيمان ليس بالضرورة أن يتحقق هذا الأمر فوراً بل هي إرادة وعزيمة وصبر وتحمّل وتضحية ، لذلك الرئيس عرفات ضحى الآن كما ضحى كامل الشعب الفلسطيني يقيناً منه ومن الشعب بأن هذا سيتحقق .

في بيروت كنت إلى جانب الرئيس عرفات خلال ١٢ محاولة من شارون لاغتياله بالطائرات وفشل ، وحينها قال عندما أحتل مخفر بعبدا ستتم تصفية هذه القيادة أو اعتقالها .

*** قال شارون عند ذلك إن إسرائيل الكبرى ستتحقق ولكن مع الانسحاب من الجنوب اللبناني صغرت إسرائيل ولم يتحقق ، وعندما استلم الفلسطينيون المنطقة -p لم تتحقق الأحلام الشارونية ، فماذا ترى في الأحلام الشارونية؟**

أنا أعتقد أن شارون مريض عقلياً ويحتاج إلى مستشفى للمعالجة النفسية ، فهو ذو انفصام في الشخصية ويعيش تماماً حالة الاستعمار الفرنسي والبريطاني القديم الذي

كان يجسد مبادئه الاستعمارية باحتلال واغتصاب أراضي الغير وإسكان جاليات غربية كبيرة كما جرى في جنوب أفريقيا وكذلك في الجزائر من أجل احتلال هذه الأرض ، ولا ننسى كيف كان الفرنسيون يقولون إن الجزائر فرنسية ولكن بالطبع خرج الفرنسيون والبيض من الجزائر وجنوب أفريقيا ولكن في جنوب أفريقيا بقيت هذه الجاليات فنفس العقلية القديمة التي تقوم على الاستعمار الاستيطاني هكذا بدأت إسرائيل وهكذا يستمر شارون .

*** ربما هذا الأمر مشتق من أستاذه بلاديمين جابوتنسكي؟**

جابوتنسكي ربما يكون إلى يسار شارون في هذا الرأي لأن شارون مجرم إرهابي سفاح ، وفي الفترة الأولى شكل الفرقة ١٠١ خارج إطار الجيش الإسرائيلي كما تشكل الآن كتل الاستيطان عصابتها الإرهابية ، وهدف الفرقة ١٠١ قتل العرب فقط (مجزرة قبة والسموع) وكل المجازر التي لم تنته بعد والآن في غزة والضفة هي من ارتكاب شارون ، وللمعلومات الشعب الإسرائيلي إذا نظر قليلاً رأى أن جميع حروب شارون جلبت الويلات على الإسرائيليين وكل حرب خاضها أنزلت في صفوف الإسرائيليين خسائر لم تحدث من قبل كما جرى في لبنان .

*** ماذا تعلم عن دور شارون في جميع المجازر التي تحصل وما هو تعليقكم على عملية الدفرسوار التي قام بها الجيش الإسرائيلي باختراق الجيش المصري وقلب المعادلة؟**

أنا من الذين درسوا هذا الأمر دراسة دقيقة على الأرض وذهب إلى مصر ، الحقيقة عملية الدفرسوار هل أفضل عملية عسكرية ، والذي أوقف الجيش المصري ليس الدفرسوار ولكن قرار السادات لأن الولايات المتحدة هددت السادات بأنها ستتدخل مباشرة ، والدفرسوار كذبة كبرى ، واسألوا الشاذلي الذي كان رئيس أركان القوات المسلحة المصرية ، فهي كذبة كبرى وعملية فاشلة جداً حاول شارون استغلالها ليصور نفسه بأنه ملك إسرائيل الجديد ، والحقيقة أنه كان فاشلاً باعتراف كبار الضباط الذين كانوا على أرض المعركة وهم طلبوه للمحاكمة بسبب إنزاله خسائر دون مبرر في صفوف الإسرائيليين .

على كل حال لست مقيماً عسكرياً لأقول إنه بطل أو غير بطل حربي ، ولكنه مجرم بكل معنى الكلمة وما الاغتيالات التي يأمر بها في هذه الفترة بصفوة الفلسطينيين وقادتهم والتي تنزل بالمدنيين خسائر كبيرة في كل ضربة من ضرباتها إلا دليل على إجرامه .

*** في مجزرة صبرا وشاتيلا حكمت لجنة كاهان باستقالة شارون ورئيس أركانه واعتزال بيغن ، لماذا لم ينفذ قرار هذه اللجنة ولم يحاكم شارون في حينه؟**

لا يوجد في ذهني أدنى شك بأن مجزرة صبرا وشاتيلا كانت قراراً من شارون وكانت رغبته الانتقام من المدنيين الفلسطينيين لأنه لم يتمكن أثناء وجود القوات المشتركة اللبنانية والفلسطينية في بيروت من التقدم متراً واحداً في بيروت ، ولقنته القوات المشتركة درساً لن ينساه في ميدان السباق عندما حاول اختراق ميدان السباق من جهة المتحف باتجاه أبو خضر على كورنيش المزرعة ، ارتكب خطأً كبيراً لأنه فقد عشرات الجنود والمدرعات ، فهذا جبان بشهادة كل الضباط الإسرائيليين ويرتكب المجازر تغطية لجبنه وفشله العسكري المهين .

*** تقول إحدى المجلات الأميركية إن شارون مجرم حرب غير نادم وهو يسير بلا تردد نحو ما يسميه الحل النهائي على طريقته الخاصة ، هل سيحقق شارون برأيك ما يريده على طريقته بلا حسيب ولا رقيب؟**

شارون بالفعل مجرم حرب وهذا ما تقترحه الحقيقة كما ترين ، هو يريد اللون الأصفر وهي أجزاء من الضفة الغربية تكون دولة فلسطينية وكل اللون البني هو أراض من الضفة الغربية يريد شارون إما ضمها أو إبقاءها تحت السيطرة العسكرية الإسرائيلية بما فيها غور الأردن ونهر الأردن ، بمعنى أنها تشكل عشرة في المئة من كل فلسطين .

فشارون وما يفكر فيه ليس قدرنا ، وفي السياسة لا يوجد شيء ثابت طالما هنالك شعب يقاوم ويقبل التضحية ويقاسي من أجل الحرية والاستقلال ، لا يمكن لشارون أن ينتصر وسينهار ، وأقول لك سراً وهو أنا أول من فاوض شارون ، وشارون بالمناسبة حتى

الآن لم يفاوض أي مسؤول فلسطيني ، التقى ببعض المسؤولين لقاءات خاصة ولكن أنا فاوضت شارون في باريس عام ١٩٨٩ وفي فندق بلازاتين ، وفي ذلك الوقت كان غير مسموح لأي إسرائيلي أن يتباحث أو يلتقي أي مسؤول أو عضو في منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكن شارون وعبر وسيط هو يعقوب نمرودي وهو رجل أعمال إسرائيلي يتحدث العربية بطلاقة رتّب أن يتباحث كل منا في غرفته وأن يقوم هو بدور الرسول . كان شارون آنذاك عام ١٩٨٩ يريد رون آراد الطيار الذي يحاول الآن أن يتفاوض مع الأخوة في حزب الله حول مصيره وهذا إصراره على بحث الثمن السياسي وهو إنهاء الاحتلال ، كان جواب شارون النهائي نعم خذوا غزة وأقيموا دولة فيها لأن الضفة هي أرض إسرائيل ، فهذا هو تفكير شارون كان ولا زال وسيبقى شارون محتالاً كبيراً ، وللأسف موقف إدارة بوش هو الذي شجع شارون وأعطاه ضوءاً أخضر ليرتكب كل هذه الجرائم دون حساب . وكما قلت إن في السياسة لا يوجد شيء ثابت كل شيء متغير فعندما تحدثت لرابين أول مرة عن السلام رفض التعاطي مع ياسر عرفات لأن عرفات كما قال رابين إرهابي فقلت له إذن أنت مع السلام ولكن تريد شخصاً آخر ، قال نعم . تغيرت الأمور وبعد أن وقّع الاتفاق مع عرفات تحدثت معه بالهاتف وقلت له إنني ذكرت لك أن في السياسة لا يوجد شيء ثابت فقال لي صحيح ولذلك نحن ثابتون صامدون سنقاوم فهذا المكتب الذي أتحدث منه احتله ١٥٠ جندياً عندما هاجموا مقر الرئيس ياسر عرفات الذي يبعد عشرين متراً من هنا والآن خرجوا وسيخرجون من أرضنا تماماً كما خرجوا من جنوب لبنان .

*** تتحدث وكأن السلطة الفلسطينية والشعب الفلسطيني متلاحمان ، يعني لدى البعض انتقادات على سياسة السلطة لجهة أن تصريحاتها قد تخدم أرييل شارون في المزيد من البطش وهو بنفسيته وشخصيته كلما أعطيته يأخذ أكثر . مثلاً اعتبرت السلطة العمليات الاستشهادية عمليات إرهابية ، ماذا تعلق على هذه الناحية؟**

العمليات الاستشهادية التي تستهدف المدنيين تضر ضررا كبيرا بالمصلحة الفلسطينية العليا وأنا أول من انتقد ذلك وأول من طالب بوقف أي عملية تستهدف المدنيين الإسرائيليين .

*** ولكن ٩٠ في المئة من الشعب اليهودي هم جنود احتياط ومستوطنون ويحملون السلاح؟**

هذا ممكن بالطبع ولكن الأطفال ليسوا جنود احتياط ولا النساء كبيرات السن وبغض النظر المدنيون هم مدنيون سواء كانوا احتياطا أو غير احتياط ولكن النقطة التي تضر بالمصلحة الفلسطينية هي أنه في هذا العالم الذي يقف حتى الآن على قدم وساق واحدة هي قدم الولايات المتحدة الأميركية ولا توجد قدم أخرى كما كان أيام الاتحاد السوفياتي ، هو عالم منحاز بشكل أو بآخر عبر الولايات المتحدة التي تحمل العصا وتركع كل هؤلاء بمن فيهم حلفاؤها من أوروبا وهي التي تجيز هذا العمل ضدنا وتصور الفلسطيني وكأنه إرهابي رغم أننا جميعا نعلم أن الإرهاب الحقيقي هو الاحتلال الصهيوني . وإن شارون وغيره ممن سبقوه يستهدفون المدنيين الفلسطينيين يوميا ، إنما حتى نستطيع أن نشق الطريق ونقضي على جنود إسرائيل والعتاة المتصهينين في الولايات المتحدة ونقضي على كل منطقتهم يجب علينا أن نستهدف قوات الاحتلال والمستوطنين المسلحين لكن لا نعطي ذرائع لهم ، فنحن نريد الاستقلال ونحن دعاة سلام ولسنا إرهابيين .

*** يقال إن الحصانة هي للسلطة الفلسطينية ولمسؤوليها فيما لا حصانة للفصائل ولا الجماهير التي يدمر اقتصادها وتدمر حياتها اليومية؟**

ربما يقول البعض ذلك لأنهم لا يرون ما حولنا وأنا سأطلب من فريق العمل ليذهب ويصور الدمار الذي ألم بنا في هذه المنطقة وهي منطقة المقاطعة مقر ياسر عرفات الذي دمروا له ١٨ بناية في مقره وأبقوا على غرفته وهو سجين غرفته كما هو الشعب الفلسطيني في سجن كبير ، هذا مصيرنا وأنا لا أتكلم عن السلطة ، فالسلطة ممكن أن أضع مائة مأخذ عليها ابتداء من عدم وجود الكفاءات والإدارة السيئة وعدم

الاهتمام بالجماهير وبعض أنواع الفساد ولكن فيما يتعلق بالصمود بوجه إسرائيل لماذا يصر شارون وأميركا على اعتبار ياسر عرفات إرهابيا وغير ممكن أن يكون شريكا في السلام ، السبب واحد وهو أن ياسر عرفات يتمسك بالثوابت الوطنية التي أقرها المجلس الوطني أي انسحاب إسرائيل إلى خطوط الرابع من حزيران ودولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة والقدس الشرقية عاصمة هذه الدولة لذلك لا يريدونه . أعتقد أن أبو مازن يمكن أن يتنازل والحقيقة أنهم لا يريدون ياسر عرفات لأنه هو الضمانة السياسية حتى الآن يتمسك بكل ما أقره المجلس الوطني من ثوابت وطنية ، أما فيما يتعلق بالملاحظات الأخرى أستطيع أن أضيف ما أزيد عندك .

*** ما نفع الحديث والإيمان عن السلام وشارون عارض وادي عربة وأوسلو وكامب ديفيد ووثيقة جنيف وخريطة الطريق ورؤية بوش ، ما النفع مع شخصية وعقلية كهذه؟**

في العمل السياسي هناك فارق بين الموقف العبثي والموقف الواقعي ، فالخطاب النازي الذي يطالب به البعض بإنهاء إسرائيل وتدميرها سهل جدا أما الخطاب الصعب فهو الخطاب السياسي المتزن الذي يأخذ بعين الاعتبار الطموح والوطن والواقع الممكن لذلك .

المجلس الوطني الفلسطيني في عام ١٩٨٨ أقر برنامج الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية على أرض فلسطين وكل من يلقي الخطاب الآن ويقول فلسطين من النهر إلى البحر هو عبثي أو عدمي ، هنالك فارق ولكن هذا لا يعني كوننا نناضل من أجل إقامة الدولة حتى حدود الرابع من حزيران لا يعني أن نسمح بسوء الإدارة وإهدار المال العام وفلتان الأمن . . الخ . وأحب أن أضيف نقطة واحدة ربما تسمعون ولا ترون ما يجري على أرضنا المحتلة ، ونحن هنا بقعة اسمها المقاطعة في رام الله لا أستطيع أن أخرج من رام الله إلى قرية بجوارها وكذلك الذي في نابلس لا يستطيع أيضا الخروج منها فتقطيع الأوصال ساعد مساعدة كبيرة في فقدان أو تقطع الرقابة حول سير الأمور في دوائر السلطة والسبب هو تقطيع المناطق الفلسطينية من قبل قوات الاحتلال ، هذا ساهم كثيرا ولا أعتبره مبررا لفقدان الإدارة الجيدة والرقابة الجيدة .

*** هل هذه سياسة آرييل شارون أم هي سياسة المجتمع الإسرائيلي بأسره؟**

أعتقد أن رؤساء الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بعد اغتيال رابين مساهمون في الجريمة مساهمة كبرى ، شمعون بيريز كان جبانا ولم يمض قدما في تنفيذ الاتفاق ، نتنياهو هو ضد الاتفاق ثم أتى باراك وتلكأ في تنفيذ الاتفاق وما توصلت السلطة إليه مع باراك في طابا هو شبه اتفاق ولكنه جبن في آخر الأمر وسقط في الانتخابات والآن أتى شارون وأنا أعتقد أن شارون المجرم السفاح المتطرف هو القادر على تحريك المجتمع الإسرائيلي الآن وليس أي رئيس وزراء آخر وأرى أيضا أن الإدارة الأميركية والرئيس بوش شخصيا يتحمل مسؤولية أساسية في كل ما ارتكبه شارون على أرض فلسطين منذ أن انتخب هو وبوش وفي نفس الوقت والآن المفتاح هو بيد بوش وليس شارون ، إسرائيل تتناول جرعات يومية من المساعدة المالية والعسكرية ، ولولا أميركا لا تستطيع إسرائيل أن تقف على قدميها وأن تحافظ على هذا المستوى الإجرامي ، والأنظمة العربية في وضعها الراهن ترتجف من مشروع بوش للشرق الأوسط الكبير والإصلاحات ولا تستطيع حتى الاتفاق على انعقاد عقد القمة ، قمة ورقة التوت التي لم تأت بشيء عملي ولكن على العرب أن يفهموا أن مصالح الولايات المتحدة في المنطقة العربية هي أكبر بكثير من مصالح أميركا مع إسرائيل .

فلاديمير جابوتنسكي مرشد المجازر الإسرائيلية

المعلم الأكبر لسياسة المجازر الإسرائيلية هو (فلا ديمير جابوتنسكي) الذي توفي سنة ١٩٤٤ ، والذي تلقى تعاليمه بجدارة آرييل شارون ، وقبله مناحيم بيغن ، والعديد من السياسيين والقتلة الإسرائيليين ، وقد بشر (جابوتنسكي) بالاغتيال والتدمير انطلاقا من أن تجربة استيطانية استعمارية يهودية ، لابد من أن تواجه بمقاومة السكان الأصليين الفلسطينيين ، الذين يعتبرهم من الشرق ، فيما يعتبر اليهود شعبا لا علاقة له بالشرق ، وإنه كما يقول ، لابد من كسح الروح الإسلامية والمسيحية من أرض إسرائيل ، من هو (جابوتنسكي) ملهم إجرام شارون وكيف يفكر في هذا التقرير .

تعود جذور ممارسات آرييل شارون إلى أفكار الإرهابي اليهودي (جابوتنسكي) الذي دعا إلى استيطان كل اليهود مكان كل الفلسطينيين ومصادرة كل أرض العرب

ورفع كل القيود عن الهجرة اليهودية في كل مكان في العالم إلى إسرائيل التي اعتبرها حضن حماية للإمدادات الإمبراطورية الغربية في وجه القومية العربية ، وكان (جابوتنسكي) معجبا بالزعيم موسوليني وكان أن صارت إيطاليا لموسوليني وألمانيا لهتلر وفلسطين لـ (جابوتنسكي) وقد آمنوا مع زعيمهم جابوتنسكي أن الاغتيال السياسي ليس جريمة وأنه لابد من استخدام العنف والقتل لإبادة العرب ومن تبقى منهم يجري إبعاده إلى خارج فلسطين باتجاه البلاد العربية الأخرى وكان يقول إن العنف والذبح من تراث اليهود وإن السيف والتوراة أنزلا معا من السماء وإن القتل بالسيف ليس ابتكارا ألمانيا بل ملك لأجداد اليهود الأوائل وإن على اليهودي أن ينفذ ذبح أعدائه مطمئن البال ، ولم يكن جابوتنسكي مؤمنا يهوديا بل مؤمنا باليهود كشعب يصل إلى أهدافه بالقتل . من هنا ليس غريبا أن يسير آرييل شارون في ضوء أفكار (جابوتنسكي) وهو الذي انضم إلى عصابات الهاجانا مثلما انضم تلميذ آخر لجابوتنسكي وهو مناحيم بيغين إلى عصابات الأراجون التي نفذت مذبحة دير ياسين وكان ذلك على يد عصابة إشترن التي انشقت عن الأراجون متخصصة في أعمال النسف والتخريب والتدمير فضلا عن عمليات اغتيال كان من بينها اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت ولذلك ليس من قبيل الصدفة أن يسير شارون على خطى الاغتيال نفسها التي كان آخرها اغتيال الشيخ أحمد ياسين إضافة إلى تهديده القيادات الفلسطينية الأخرى بالقتل .

قراءة خالد الفاهوم

رئيس المجلس الوطني الفلسطيني سابقا لفكر جابوتنسكي

*** هل صحيح أن تلامذة جابوتنسكي هم وحدهم مقبولون لصناعة السلام . بيغين كامب ديفيد ، شامير مؤتمر مدريد ، واليوم آرييل شارون يقول إنه يستطيع أن يصنع سلاما عن طريق المزيد من العنف وهذا هو فكر جابوتنسكي بامتياز ، كيف ترى هذه الصورة؟**

صورة صحيحة ، فأنجب تلميذ لجابوتنسكي هو شارون ، جابوتنسكي معروف بأنه كان يختلف عن معظم الإسرائيليين لأنه كان يريد إبادة العرب وطردهم من فلسطين في العشرينات فشارون تلميذ نجيب ويطبق سياساته كما هي .

*** ما هي جذور تفكير جابوتنسكي وهو الذي قاد حركة قوية في العمل السياسي والفكري الإسرائيلي؟**

عندما بدأت الصهيونية كانت بدأت في مؤتمر (بال) بسويسرا ١٨٩٧م ، وكان يقوده وايزمان وهيرتزل وآخرون وكانوا ينادون بوطن قومي لليهود في فلسطين ولكنهم لم يتكلموا عن العرب أو طرد العرب فجاء جابوتنسكي وقال فلسطين لا تؤخذ بالسياسة والكلام وشراء الأرض ولكنها تؤخذ بالسلاح فدعا إلى تسليم اليهود وتدريبهم وبدأ عملية التدريب السري منذ ذاك الوقت وفي الأربعينيات كان نتاج جابوتنسكي موجودا على شكل هاجانا وآراجون .

*** هل تؤيد ما يقول جابوتنسكي وهو يقول إن الدولة التي يسعى إليها ليست دولة يهودية بل دولة يهود ، هل يغلب الطابع القومي على عامل الدين؟**

بالطبع ولكن هو لم يكن رجل دين هو قومي ومتأثر بالقومية في أوروبا حيث جاء من بولونيا وروسيا وألمانيا فكان الفكر القومي قويا جدا فهو يريد دولة لليهود ولا يريد فلسطين فقط .

*** القبول بتسليم غزة وأجزاء من الضفة يعتبر اليوم تراجعا من شارون فيما يتعلق بفكر جابوتنسكي الذي يطلب أن يعم الاستيطان كل فلسطين؟**

في عام ١٩٣٦ كانت الثورة الفلسطينية الكبرى وأرسلت بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين لجنة (بيل) من أجل التحقيق في أسباب ثورة العرب وقد حققت اللجنة وخرجت باقتراح يعطي لليهود دولة إسرائيلية من حيفا حتى تل أبيب فقط لا غير الباقي للعرب وقد وافق وايزمان على ذلك وعندما سئل كيف تقبل بهذا الجزء البسيط من فلسطين قال الآن جزء بسيط ولكن ليس معنى هذا أنني أقبل بأرض بشكل نهائي هي خطوة أولى لنقيم الدولة ثم نتوسع والفرق بين وايزمان وجابوتنسكي أن الأخير كان يريد ضرب العرب في الثلاثينيات والأربعينيات دون أن يسمح لهم بالبقاء في فلسطين ولذلك كان وايزمان متدرجا يريد دولة لإسرائيل بالتدرج وجابوتنسكي وشارون يريدانها الآن .

* هل ترى اليوم انسحابا على واقعنا الآن أن شارون وضع قواعد لعبة جديدة خرج فيها عن المساومات القديمة في الصراع العربي- الإسرائيلي؟

هو الآن يريد أن ينسحب من غزة وان يتركها للفلسطينيين مفضلا أن يقتتلوا وإذا علم أن الفلسطينيين إذا اقتتلوا لم يبق لهم شيء ولذلك هو سيعود إلى غزة عندما تصبح في جو أفضل ووضع سياسي وعسكري أفضل فشارون مثل جابوتنسكي يريد كل فلسطين وحتى يريد فلسطين والأردن أيضا وما زال يقول لابد من دولة لليهود .

الانسحاب من غزة

عدة أسئلة أمام شارون ليجيب عنها في سياسة الانسحاب من غزة : هل سينجز الانسحاب؟ وهل سيكون كاملا؟ وهل يقبل سبعة آلاف وخمسمائة مستوطن إسرائيلي بمغادرة غزة وإعادة توطينهم في الضفة الغربية؟ وهل ستقبل أميركا بتمويل إعادة بناء مستوطناتهم في مناطق أخرى؟ وهل سيعطي بوش لشارون الضوء الأخضر عندما يستقبله في واشنطن هذا الشهر؟ والأهم ، وهل يبقى المتطرفون الدينيون وسواهم في الحكومة الشارونية؟ والأكثر أهمية ، هل يبقى شارون في الحكم بعد توجيه الاتهامات إليه في قضايا فساد؟ أم يلتف شارون على القضية بائتلاف مع حزب العمل؟ ومن يخلف أرييل شارون في حال استقالته أو عدم انتخابه؟ وزير المال بنيامين نتنياهو؟ أم وزير الدفاع شاؤول موفاز؟ أم نائب رئيس الوزراء إيهود أولمرت؟ أم وزير الخارجية سيلفان شالوم؟ آخر ابتكارات شارون جدار الفصل العنصري الذي يلتهم ثمانية وخمسين في المئة من أراضي الضفة الغربية فتستكمل إسرائيل بذلك محاصرتها للفلسطينيين سواء بين غزة والضفة أو بين غزة ومصر أو بين فلسطين الداخل وغور الأردن إضافة إلى استمرار الهيمنة العسكرية على مينائي غزة البحري والجوي وذلك في تدمير كامل لاتفاقية أوسلو وخريطة الطريق ، الجدار العازل يحول ما تبقى من مناطق فلسطينية إلى معازل وكانتونات وقد استغرب الرئيس بوش بنفسه الجدار بأن قال إنه يتلوى كالثعبان في المناطق الفلسطينية ويترافق هذا الجدار مع خطة شارون الجديدة بالانسحاب الأحادي من غزة لا تزال تحت الاختبار . صحيح أن

أكثرية الإسرائيليين تؤيد خطة الانسحاب من غزة وتفكيك سبع عشرة مستوطنة فيها لكن السؤال هل ينفذ شارون وعده؟ يقول شارون إنه يعمل على ألا يكون أي يهودي في غزة لكنه في الوقت نفسه أشار إلى أن الخطة لن يجري تنفيذها في القريب العاجل فهو يشترط أن يوافق المستوطنون اليهود في غزة والبالغ عددهم سبعة آلاف وخمسمائة مستوطن وهؤلاء عبروا عن معارضتهم حتى الآن لإخلاء المستوطنات وزادت الشكوك حول مدى جدية خطة شارون بعد كلامه لوزير الخارجية شالوم بأن لا قرار نهائيا اتخذ حتى الآن بشأن الانسحاب فمثل هذا القرار بعد موافقة الحكومة يجب أن ينال موافقة الكنيست ويشير إلى أنه ضد القرار ويخشى أن يخرج اليمين المتطرف من الحكومة ويفرط الائتلاف الذي يضم الحزبين المتطرفين : الاتحاد القومي وميتتال وأن على شارون أن يدرك أن استمرار الوضع الحالي يعرض أمن إسرائيل للخطر فمنذ أن قام شارون بالزيارة المشؤومة لباحة المسجد الأقصى وإشعال الانتفاضة الثانية وعدد القتلى الإسرائيليين يتزايد إلى ٨٧٥ قتيلا إضافة إلى آلاف الجرحى ما يجعل الإسرائيليين في حالة يأس وخوف وإرباك من الحرب خصوصا بعد تقرير البنك المركزي الإسرائيلي الذي قال إن الانتفاضة كبدت إسرائيل نحو ٢٠ مليار دولار ، وإذا كان استفتاء صحيفة يديعوت أحرونوت يكشف أن ٥٩ في المئة من الإسرائيليين يؤيدون خطة شارون بالانسحاب من غزة فإن المعارضين يرون أن هذا الانسحاب سيفسر بأنه انتصار للمقاومة وبالتالي يشجع مزيدا من الإرهاب ما جعل الكاتب (بات تنكسن) يعلق على الشكوك حول جدية الانسحاب أنه لا يريد أن يلعب البوكر في هذا الموضوع مع أرييل شارون .

موقف حنان عشراوي

عضو المجلس التشريعي الفلسطيني من الانسحاب

*** أسألك حول البيان الذي وقعه سبعون شخصية فلسطينية وأنت منهم ، هذا البيان ترافق مع عملية استشهاد واغتيال الشيخ أحمد ياسين تحت إشراف أرييل شارون ، لماذا هذا التزامن في إصدار هذا البيان مع اغتيال الشيخ أحمد ياسين؟**

هو ليس متزامنا ، هذا البيان ظهر بعد عملية الاغتيال وبعد عمليات إجرامية متواصلة من قبل قوات الاحتلال ومن دخولنا مرحلة تلو الأخرى من حلقة مفرغة من العنف والعنف المتبادل وبالتالي نحن ارتأينا أن نطلق خطابا سياسيا علنيا يطالب بإعادة زمام المبادرة إلى الجانب الفلسطيني وعدم ترك شارون في الساحة يحدد لنا التوقيت وطريقة العمل .

*** البعض اعتبر أن هذا البيان كان يفترض أن يصدر دون ملاحظات أو تضامنا ، بمعنى أنه يحدد وحده الصف الفلسطيني ولا يجعل أن يكون هناك إيحاء بأن هناك طرفا مع العنف وطرفا آخر ضد العنف؟**

نحن جميعا مع وحدة الصف الفلسطيني بالفعل ولكن وحدة الصف لا تعني وحدة المنظور وإنما تعني أن هناك إطارا ديمقراطيا يستطيع أن يستوعب الاختلافات في وجهات النظر وأن يصل إلى مفهوم موحد حول كيفية العمل فبالتالي هذا الخطاب لا يقوم بإدانة أي طرف من الأطراف وإنما يجب أن نقوم بإطلاق حوار علني حول هذه القضايا وعلينا أن نكون في موضع المقرر من طريقة التعامل وبالنسبة إلى الموقف السياسي لقرارنا بمجابهة الاحتلال بأفضل الوسائل وبالطرق التي قد تكون أقل ضررا وأكثر نفعا على القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وهذا من ضمن الحوار العلني ومن ضمن حركة سياسية متكاملة داخل الرأي العام الفلسطيني وأنا في رأيي يجب أن نشجع ونحترم هذا العمل الديمقراطي وأيضا إطلاق حوارات علنية وخطاب علني حول قضايا تمس حياة الشعب الفلسطيني في الصميم .

*** ماذا تردون على الاتهام الموجه إليكم بأنكم لا تعيشون نبض الشارع الفلسطيني وأنتم تطرحون حلولا تصلح لظروف أكثر هدوءا وليس التعاطي مع دولة أو فكر مثل فكر إسرائيل وخصوصا أنه يتمثل اليوم بآرييل شارون؟**

أولا الكثير منا منتخبون ونحن جزء من النضال الفلسطيني التاريخي ولسنا بصدد إثبات مصداقيتنا وهويتنا الوطنية ولنا اتصالات شعبية وجماهيرية وهذه ليست القضية ، وأنا لست بصدد الدفاع عن نفسي وعن الآخرين حول ماذا يقوله الآخرون فأنا أريد حوارا حقيقيا ومسؤولا ونحن في صلب وصميم النضال الوطني الفلسطيني ولدينا

الحق في التكلم والتواصل وفي طرح النقاط والقضايا ، هناك آخرون يعتقدون أن لديهم التفويض بالتكلم نيابة عن الشعب وبإطلاق عمليات وأخذ بعض المبادرات السلبية نيابة عن الشعب ولم يقم الشعب بتفويضهم ، فالرأي العام الفلسطيني والشعب الفلسطيني شعب ناضج ومسيّس وشعب لا يخضع للشعارات ولا ردود الفعل العاطفية ولا إطلاق الاتهامات جزافاً فالشعب الفلسطيني يقيم الأمور بمسؤولية ومر بمراحل مصيرية وصعبة جداً ونحن نريد أن نصارح هذا الشعب وأن نكون جزءاً من هذا الحوار والاختلافات في وجهات النظر لا تعني خلافات وطنية أو جوهرية فالجميع يريد إنهاء الاحتلال ويريد موقفاً صامداً ومكافحاً في وجه شارون وهذه الحكومة المتطرفة فلا يوجد فرق في تشخيص الوضع فما نريده هو أن نبلور سوياً آليات ووسائل لمجابهة هذا العدوان لدعم صمود الشعب الفلسطيني ولإطلاق نضال حقيقي يستطيع أن يستخدم أفضل الوسائل في وجه هذا العدوان والذي لا يلتزم بالحد الأدنى من الأخلاقيات .

*** مازلتم تؤمنون بالسلام بأي صيغة وعن أي سلام تبحثون ، ماذا تريدون وكل اتفاقيات السلام قد ضربت بعرض الحائط؟**

السلام هو حق لكل إنسان ، العيش بحرية وكرامة على أرضه ، والسلام ليس تهمة وهو طموح وحق للشعب وبغض النظر عن وجود احتلال غاشم وعن وجود برنامج سياسي متطرف عنصري أصولي في إسرائيل فهذا لا يعني أن هدف السلام هو هدف مرفوض بالعكس كل حركات التحرر والنضال وحتى كل الحروب قامت بهدف الوصول إلى السلام ونحن نؤمن بالسلام وهو قيمة بحد ذاته وهو حق للشعب الفلسطيني وأنا أرفض أن تقوم أي فئة بنزع هذا الحق عنا والتصعيد نيابة عنا بحيث نقوم بالنضال الأبدي والانتحار الأبدي والمعاناة الأبدية فأنا أريد رفع المعاناة ووقف النضال لأننا نريد أن نصل إلى سلام حقيقي ، وعندما نصل إلى هذا السلام الحقيقي ونعيش بحرية وكرامة على أرضنا فهذا هو الهدف الذي نناضل من أجله إما بالوسائل السلمية والسياسية أو النضالية أو العسكرية والكل يعترف بذلك .

*** ما موقفك من دعم الرئيس بوش وتغطيته أعمال أرييل شارون حيث يبرر عملية اغتيال الشيخ أحمد ياسين بقوله إن لإسرائيل حق الدفاع عن نفسها**

وأيضا وضع الفيتو الأميركي على كل القرارات التي تدين إسرائيل ، ماذا تتوقعين من الموقف الأميركي؟

لا نستطيع أن نقول إن الموقف الأميركي هو موقف حيادي أو موقف يريد السلام العادل أو موقف يدعم القانون الدولي ، هناك عنصر جديد في العلاقة الإستراتيجية أو التحالف الإستراتيجي بين أميركا وإسرائيل وهذا العنصر الجديد هو التجانس الأيديولوجي العقائدي الفكري وهذا أتى نتيجة ظهور اليمين المسيحي الصهيوني وظهور المحافظين الجدد وكون الرئيس بوش ينبثق من الرؤية المسيحية اليمينية الانبعاثية كما أنه هو أيضا ضمن إطار سياسي يميني متشدد من المحافظين الجدد أدى إلى نوع من التطابق في الآراء الأيديولوجية بين حكومة يمينية عنصرية مثل حكومة شارون وما بين الإدارة الأميركية الآن بحيث أصبح شارون رجل سلام وأصبح بموقف الدفاع عن النفس بحيث أصبحت إسرائيل هي التي تحدد المفاهيم وتحدد ملامح سياسة أميركا الخارجية بشكل أحادي وهناك أدوات موحدة بينهم بما في ذلك التعامل الفردي الأحادي والاستباقي والحلول العسكرية كلها من سمات الفئتين فنحن لا ننظر إلى أميركا باعتبارها مخلصا ولكننا ندرك أن أميركا هي قوة عظمى وتحدد مصير الجميع وبالتالي هناك رؤية عربية بأنها تريد من موقع دفاع عن النفس العالم العربي وهناك القضية الفلسطينية الآن لأنها تمر بأخطر مراحلها ، مراحل تصفية ليست جسدية وإنما تصفية الأرض والهوية الوطنية والحل الذي قد يؤدي إلى استقلال حقيقي وإلى نوع من العدالة ، فلابد لنا من الاشتباك السياسي ومن تفعيل مقومات القوة لدينا ولابد لنا من حوار صريح وجريء مع الإدارة الأميركية وعدم ترك الساحة لإسرائيل وهذا يتطلب تفعيل الإدارة العربية وتفعيل العلاقات الدولية وحوار إستراتيجي مع أميركا والوقوف في وجه محاولات التضليل والتشويه الإسرائيلية إعلاميا وسياسيا وهذا لم نفعله خاصة على ضوء أن الخطاب العلني الآن أصبح خطابا مشوها ويؤدي إلى اتخاذ قرارات مشوهة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية فعلينا أن نتحرك بحكمة وبحذر وطول نفس .

*** بوش حسب معطياتنا سيؤكد فيما يتعلق بالجدار الفاصل حيث اختزلت القضية الفلسطينية بهذا الجدار سيؤكد أن الجدار العازل هو وسيلة مؤقتة**

فقط ، ما هي الضمانات برأيك بأنه سيكون وسيلة مؤقتة وما موقفك من هذا الأمر؟

الجدار هو جزء من سياسة متكاملة وهو جدار توسعي وضم أراضي فلسطينية لإسرائيل وبالتالي هو أكثر من قضية جدار وإنما هو يجسد الطبيعة العداونية التوسعية والهيمنة الإسرائيلية والقضية الفلسطينية لا تختزل بجدار وإسرائيل تحاول طمس الهوية الفلسطينية وبالتالي تتعامل معنا كتجمعات سكنية في أماكن سكانية منعزلة ، تريد أن تقوم بضم الأرض وتقويض المؤسسات البنيوية التي تؤدي إلى إقامة دولة ذات سيادة وذات قدرة على البقاء والاستمرارية فكل هذا من مكونات سياسية متكاملة لشارون يريد من خلالها أن يجمع إقامة سلام عادل وشامل يتطلب منه الانسحاب الكامل وإعادة الأرض إلى أصحابها وتفكيك المستوطنات وحق العودة للاجئين فهذه كلها خطة منسجمة مع ذاتها ومع عقلية عنصرية ندركها جميعا وأنا أرى أنه في محاربة الجدار يجب أن نحارب كل السياسات والممارسات الإسرائيلية والاحتلال الإسرائيلي وأهدافه ، أما الولايات المتحدة فهناك تناقض على الدوام فعندما بدأ الجدار قالوا إنه غير مقبول على الإطلاق ويحدد من جانب واحد الحل النهائي . . الخ والآن أصبح الجدار وكأنه أمر واقع وإنما يناقشون مسار الجدار في بعض المواقع التي تؤدي إلى معاناة الفلسطينيين .

شارون طلب من الولايات المتحدة أولا إسقاط حق العودة وطلب رسالة ضمانات حتى لو كان هناك ذكر لحق العودة يكون إلى الدولة الفلسطينية التي ستقام مستقبلا بمعنى إلغاء القرار ١٩٤ وهذا خرق للقانون الدولي ، ثانيا طلب من أميركا عدم الالتزام بحدود ١٩٦٧ ما يعني أنه يريد من أميركا خرق القانون الدولي فيما يتعلق بالقرارين ٢٤٢- ٣٣٨ وحتى ١٣٩٧ وطلب منهم ضم الكتل الاستيطانية معاليم أدونين والتكتلات الإسرائيلية الكبرى طلب مباركة بوش لهذا الضم وهذا غير شرعي وغير قانوني ، ورابعا طلب غض النظر عن التوسع الاستيطاني في الضفة كثمن مقابل الانسحاب من غزة فهو يريد ضم من ٥٠ إلى ٥٨ في المئة من أراضي الضفة الغربية .

* هل ستلبي الولايات المتحدة مطالب شارون؟

هناك عدة عوامل أولا . . الانتخابات الداخلية في أميركا لا يمكن لبوش ولغيره اتخاذ أي قرار ما لم يقم بتقييمه ضمن فرصة بالنجاح في الانتخابات ، هذا العامل الحاسم لبوش ولغيره الآن في العملية الانتخابية فإذا كسب الأصوات فسيتبنى الموقف الإسرائيلي ، ثانيا هناك عامل الدول العربية وأنا في رأيي العنصر العربي غائب في صنع القرار السياسي الأميركي خاصة في ضوء أن هناك نظرة استعلائية واستغيابا للعالم العربي .

* هل اللقاءات التي يجريها الرئيس بوش مع بعض الزعماء العرب ستأتي بنتيجة؟

إذا كانت هذه اللقاءات مبنية على ثقة بالنفس وخطاب سياسي واضح والتزام بالحق الفلسطيني والإطار العربي الحاضر مع رؤية مقنعة وجريئة فأنا في رأيي بالإمكان التأثير ويجب أن نستخدم جميع وسائل التأثير سواء أكان عربيا أو أوروبيا ، فلابد لنا بالحديث والتنسيق المسبق من وضع موقف عربي واحد ومنسجم مع ذاته وجريء ومبني على الثقة بالنفس وبحق القضية الفلسطينية وفي مواجهة الطروحات الإسرائيلية ومن مصلحة العالم العربي وأميركا أن يكون هناك حق عادل وألا يكون الحل أحاديا ومفروضا ومجحفا بحيث يكون مدعاة للنزاع المستقبلي .

تحليل نفسية شارون

بعد زيارة شارون إلى الحرم القدسي الشريف وهي الزيارة التي أشعلت انتفاضة الأقصى ، ذكرت إحدى الصحف الفرنسية : إذا كنتم تريدون معرفة سر الزيارة الشارونية ، حاولوا الإجابة عن السؤال التالي : لماذا يدخل مجرم محترف إلى مخزن بارود وهو يحمل علبة كبريت؟ لقد حاول شارون من خلال الزيارة استفزاز مشاعر أكثر مليون فلسطيني ، فالتطرف هو وسيلة شارون ، ومجرمي الحرب عامة ، للتخلص من القلق الهوسي المسيطر على شخصيته ، وهو قلق لا يهدأ إلا من خلال خوض الصراعات التي تؤكد القدرة على العدوان وتتيح للمجرمين ممارسته بصورة مباشرة ،

بحيث يفقد مجرم الحرب قدرته على المحاكمة المنطقية للأمور ، من دون تقدير عواملها المحتملة . صحيفة (أكيت) التركية نشرت على صدر صفحتها الأولى رسماً كاريكاتيرياً يظهر فيه نادل يتقدم نحو شارون ، ليسأله ماذا يحب أن يشرب؟ فيجيب شارون إنه يحب احتساء خمسة أكواب دم كل يوم! ويتفق المراقبون على أن شخصية شارون الدموية تعود في جذورها إلى الطفولة ، حيث يقول (أوزي بنزيمان) في كتابة (شارون قيصر إسرائيل) ، إن (آرييل) كان يتجول في مستعمرة (كفرملال) قرب تل أبيب وهو يحمل عصاً لضرب الأطفال الآخرين وإخضاعهم .

لا تقرأ يا شارون فأنت لا تصلح إلا للقتل ، هذه هي نصيحة ديفيد بن غوريون لزعيم الليكود ورئيس الحكومة الإسرائيلية شارون ، فقد كان بن غوريون لا يخفي إعجابه بقدرة شارون على سفك الدماء وبلا تردد ولكنه وصفه دائماً بالجاهل الوقح وإضافة إلى موهبته بالقتل هناك موهبة الكذب لدى شارون حتى في حياته الشخصية ، فحين يقول إن زوجته الأولى ماتت بحادث سير لأن موقد سيارتها كان على الطراز الإنكليزي يرد عليه الصحافي (أوزي بنزيمان) في كتابه (شارون قيصر إسرائيل) يؤكد أن شارون يخفي حقيقة الأمر وأن زوجته الأولى مارغريت انتحرت عام ١٩٦٢ أنها اكتشفت أن زوجها على علاقة مع شقيقتها ليلى التي تزوجها شارون بالفعل وماتت هي بدورها بمرض عضال مثلما مات ابنه غور وهو في الحادية عشرة من عمره على يد طفل آخر كان يلعب ببندقية شارون وقد مارس أبشع عمليات الإرهاب والانتقام ضد الطفل وأهله .

وفي كتاب الصحافي الإسرائيلي بنزيمان كما في الكتاب الأسود الذي صدر بعد حرب لبنان عام ١٩٨٢ بعنوان (آرييل شارون سيرة هكذا حياة) هناك عشر خصائص شارونية : نقض القوانين ، نقد الأعراف ، عدم إطاعة الأوامر ، عدم كتمان الأسرار ، انتهاج جرائم الإبادة ضد العرب ، الخيانة وتزييف الوقائع وتجسيد الميكيافيلية على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة ، الإخفاق في القيادة السياسية كما يقول عنه الكاتب اليهودي الدكتور (موس بلخ) إنه انعكاس للمجتمع الإسرائيلي بشكله الفظ والقاسي المستند إلى منطق القوة وهو بذلك ليس شاذاً على المجتمع الإسرائيلي بل هو نتاج كامل لهذا المجتمع .

يوصف شارون بأنه شخصية سطحية دون أعماق فكرية لها تقوم على الحقد والاستعلاء والغدر والعنصرية ويصفه بن سكيد أحد كتاب السير الإسرائيلية بالإسرائيلي القبيح المتعطش للدماء الميال إلى القوة ولا يقدّر العواقب لأنه مريض بجنون العظمة وليس بوسع أحد من القريبين منه أن يقدر اليوم ما سيفعله شارون غداً كرئيس للحكومة ، وقال عنه هنري كيسنجر بعد اللقاء به إنني جلست مع أخطر سياسي في الشرق الأوسط وقال عنه إيهود باراك خلال معركته الانتخابية إن شارون يشبه الذئب المتخفي بهيئة الجدة في حكاية ليلى والذئب .

محمد النابلسي

مدير مركز الأبحاث المستقبلية وبصفته عالم نفس

*** شارون وبتحليل شخصيته يكذب في كثير من المواقف كما رأينا في التقرير ، ماذا ترى في الشخصية الشارونية الكاذبة لهذا السفاح؟**

عادة في الطب النفسي الكذب يرتبط بالرغبة في تحقيق مجموعة أهداف متناقضة ولو راجعنا التاريخ الشخصي لحياة شارون لوجدنا أنه منذ زمن يريد الحصول على أهداف متناقضة والكذب في هذه الحالة يصبح سمة من سمات الشخصية وهي دامغة في شخصية شارون ليس فقط في هذه الأمثلة ولكن أيضاً في سلوكه السياسي وحتى في بقية فضائحه .

*** هل اطلعت على كتاب أوزي بنزيمان (شارون قيصر إسرائيل) وهناك أكاذيب فضحها في هذا الكتاب؟**

هذا الكتاب يدخل في إطار التجاذب السياسي في إسرائيل وهو نوع من كتب الفضائح وبصورة موضوعية لا نستطيع أن نأخذ هذه الفضائح على محمل الجد وسط التجاذبات الإسرائيلية الموجودة ، ما هو مؤكد أن شارون بدأ حياته رجل عصابات وهو مازال يمارس السياسة حتى الآن بشخصية وسيكولوجية رجل العصابات .

*** هل هو يعمل بطريقة مضطربة؟ أحد رجال السير الإسرائيلية بن كسيفيت يقول إن شارون يعمل بطريقة مضطربة بلا خطط مسبقة ويعتمد على التلاعب بالمصطلحات؟**

هناك بعض النكات التي تروى عن شارون ومن بينها نكتة أنه استفاق صبيحة اجتياح لبنان ليسأل ضابطه ماذا سنفعل بعد الظهر ، فهذه الصفة من الصعب إلصاقها في شخصية مثل شارون ، بحسب تحليلي لشخصية شارون المنشور في أكثر من مصدر فشارون شخص قلق ولديه هوس التطرف الناجم عن ممارسة الإرهاب عبر العصابات الصهيونية ، شارون شخصية لا يستطيع أن يشعر بالاطمئنان ما لم تكن لديه صراعات وبالتالي عندما يفتقد للصراع فهو يبحث عنه .

*** دائما هو في الجانب المعارض فهو عارض جميع اتفاقيات السلام فكيف تصف شخصيته المعارضة على الدوام؟**

الكل يصب على أهداف متفاوتة ولو عدنا إلى موقعه التفاوض مع باراك لمنع وصول نتنياهو لوجدناه في حينه غير معارض فالمسألة هناك مسألة تطرف بالمصلحة ونوع من العدائية حتى للمجتمع الإسرائيلي يعني يمكن أن نضع شارون في إطار الشخصية المعادية للمجتمع دون أن تدخل عواطفنا العربية ومواقفه من العرب ، ولو أخذنا المجتمع الإسرائيلي لوجدنا أن شارون رجل يتحدى مجتمعه ، فمجموعة فضائحه ومخالفاته للقواعد المتبعة والأعمال السرية التي يتورط فيها ومن بينها فضيحة تورطه بزراعة المخدرات في (كيبوت ست) .

*** الدكتور موسى بلج يقول إن شارون ليس شاذا عن المجتمع الإسرائيلي بل هو نتاج كامل للعقيدة الإسرائيلية تربطه خيوط كثيرة مع شامير وباراك والاختلاف قليل ، هل توجد شخصية إسرائيلية شبه موحدة متماثلة يمثلها شارون في هذه الفترة؟**

لو أردنا تصنيف السياسيين الإسرائيليين لوجدنا نفسنا أمام ثلاثة أنماط ، النمط المالي ورمزه رابين وهو نمط يسعى للحصول على سطوة لإسرائيل تعادل تفوقها التقني

والعسكري هذه الفئة من الزعماء الإسرائيليين تتقبل فكرة إبدال إسرائيل الكبرى بإسرائيل العظمى ومن هنا كان موقف رابين متماشيا مع بعض خطوات السلام . وطبعا هناك بيريز حاليا والفئة الثانية التي تتمثل بموقفها اليهودي الديني المتطرف مثلته غولدا مائير بشكل متميز وهناك الموقف الوسطي من يريدون إسرائيل الكبرى وإسرائيل العظمى ويجمعون ما بين طموحات العلمانيين والمتطرفين وهنا يمكننا إدراج شخصيتين بارزتين وهما شارون ونتنياهو .

*** من دراستك للشخصية الإسرائيلية تحدثت عن النفس المغلولة الإسرائيلية وعن النفس المقهورة العربية إضافة إلى النفس المفككة ، أين تقع شخصية شارون من هذه الأنواع الثلاثة؟**

شارون صهيوني وبالتالي هو نوع من التجديد أو الخروج على الديانة اليهودية ولكن مع الاحتفاظ بنعمة الولادة اليهودية وبالتالي هو في إطار النفس المغلولة بطبيعة الحال .

*** تتحدثون في تحليل لكم عن تصنيفات الأمراض العقلية واضطراب الشخصية المادية للمجتمع التي تزيد عن الحدود المعتدلة ، هل يمكن اعتبار شخصية شارون هنا أنه شخصية مهووسة بامتياز؟**

تكفي مراجعة المجازر الثابتة بالوقائع على شارون بدءا من صبرا وشاتيلا وصولا إلى مجزرة قبية عام ١٩٥٣ ومرورا بإعدام الأسرى المصريين ، وهذه جريمة ضد الإنسانية تناقض كل اتفاقيات جنيف .

*** في علم النفس يطلق لقب السفاح على القاتل المضطرب وهذا ما يطلق على شارون؟**

لو رجعنا إلى صحيفة (لوموند) في ٢٠٠٠/٩/١٣ لوجدنا في افتتاحيتها سؤالا يقول : (إذا أردتم أن تعرفوا ما إذا كان شارون في الأقصى عليكم أن تجيبوا على سؤال ماذا يفعل مجرم سارق في مستودع محروقات وفي جيبه عود كبريت؟) ، وبالتالي كل ضحايا الانتفاضة كانوا بإطلاق من هذه الزيارة وهذه الزيارة لا يمكن أن تكون عشوائية ولا غير مدروسة وكانت مخططة وكان هناك هوس القتل وراء هذه الزيارة .

*** ماذا يعني لك قول صحيفة يديعوت أحرونوت بأن شارون هو الأكثر شعبية والأكثر دموية وهو الذي حصل على أكبْر نسبة أصوات في الانتخابات؟**

المجتمع الإسرائيلي يستمد شعوره بالاطمئنان من خلال قدرته على العدوان والمواطن الإسرائيلي عندما يتأكد من القدرة العدوانية عندها يصبح مطمئنا وما حصل أيام باراك أن المواطن الإسرائيلي لم يكن مطمئنا وكان بحاجة إلى شخصية مهووسة مثل شارون متطرفة تعده بالقضاء على الانتفاضة وبالتالي على الفلسطينيين خلال مائة يوم ولكن الوقت الذي مضى جعل المواطن الإسرائيلي يغير رأيه ولم يعد يشعر بالاطمئنان فكان الجدار .

*** يبدو اليوم أن كل فضائح الفساد المحيطة بشارون ليس لها أهمية لدى الشعب الإسرائيلي بحيث كلما كان السياسي الإسرائيلي قاتلا كانت ذنوبه مغفورة ، هل توافق هذا الرأي؟**

نحن لا نستطيع أن ننكر أن الجمهور الإسرائيلي مقسوم إلى فئات فئة الإسرائيليين العلمانيين يستعدون للرحيل إذا أراد شارون أن يتابع هذا التطرف وهذه الفئة معادية للجدار وحاول تحديدا يوسي بيلين وزير العدل السابق وموقفه واضح وصريح هو وجماعته والفئة التي ينتمي إليها وإضافة للأزمة الاقتصادية التي جعلت المواطن الإسرائيلي يفقد قسما كبيرا من شعوره بالاطمئنان وبالتالي لا نستطيع أن نتحدث عن شارون بقوة شارون الذي انتخب أيام الانتفاضة .

*** هل على العرب أن يدرسوا كفاية هذه الشخصية لكي يتم التعاطي معها للمعطيات العلمية والتعامل معها مثلما تفعل الدول المتطورة ويتم التعامل معها على تخطيط معين؟**

هم يدرسون رؤساءنا فردا فردا وأنا شاركت في ترجمة دراسة أقامها باحثون نفسيون يهود للرئيس عرفات وهم يدرسون كل رؤسائنا وأنا من وجهة نظري أعتقد أن دراسة الشخصيات الإسرائيلية ليست بالأهمية المطروحة وأذكر لك مقطعا من مذكرات هنري كسينجر وهو يروي لقاءه مع العاهل السعودي في محاولته لرد مصر السادات إلى الجامعة العربية . يقول العاهل السعودي ثقافة المنطقة لا تستطيع أن تستوعب عودة مصر

بوجود من وقعوا كامب ديفيد أي بوجود بيغين والسادات ، كسينجر يذكر في مذكراته أنه أجاب العاهل السعودي : بيغين يمكننا إزاحته ولكن ماذا نفعل بالسادات؟

إذن مسألة الزعامة الإسرائيلية مرتبطة مباشرة بالقرار الأميركي ونحن نعرف أن كلينتون أرسل مدير حملته الانتخابية لتصويت نتنياهو ونعرف حجم التدخل السياسي الأميركي في الزعامات الإسرائيلية وبالتالي لا أعتقد أن دراسة هذه الشخصيات لها قيمة تذكر .

الفضيحة المالية

هل يمكن التصديق أن (شارون) لم يكن يعلم أن ابنه (جلعاد) سيتلقى من (ديفيد أفيل) رشوة بملايين الشيكلات الإسرائيلية ، لقاء خدمات يقدمها له (شارون) لقاء صفقات عقارية تخص منتجعاً سياحياً في جزيرة يونانية ، وهي الأموال التي خصصت لمزرعة (هشكميم)؟ ويسأل (دان مرعليت) في صحيفة معاريف : هل يعقل أن الابن لم يُعلم أباه بالرشوة ، وعائلة شارون هي الأكثر تماسكاً في العالم ، وهي التي تسكن معاً وتأكل معاً؟ وهل يُعقل أن شارون ذهب عبثاً مرتين لتناول الطعام عند (أفيل) على شرف الوفود اليونانية ، الذين دُعوا بعد التكريم إلى مكتب شارون ، وإلا لماذا غضب شارون على كل من يقف في طريق رجل الأعمال الذي قدم الرشوة؟ كل هذه الأسئلة يتوقف على أجوبتها مستقبل شارون ، الذي يتعلق مصيره بيد المستشار القضائي للحكومة (مازوز) ، صاحب الكلمة الأخيرة في إعداد لائحة اتهام شارون بالفساد التي قد تؤدي به إلى المحكمة .

يواجه آريل شارون ثلاث فضائح في وقت واحد تهدد مستقبله السياسي وقد تطرق إلى الاستقالة بعد قرار كبير ممثلي الإدعاء في إسرائيل رسمياً توجيه اتهامات إلى شارون في فضيحة فساد تتعلق بقبول الرشاوى وتتركز الاتهامات في الفضيحة الأولى على حصوله على تبرعات محظورة من شركة أناناكس للبحوث بقيمة ٩,٥ ملايين شيكل أي نحو مليون ومئتين وأربعين ألف دولار وخرق قواعد تمويل الحملات الانتخابية خلال عامي ١٩٩٩- ٢٠٠٠ حيث يحظر على الأحزاب السياسية جمع الأموال من الخارج . وفي عام ٢٠٠٢ قام رجل الأعمال البريطاني سربل كيرن المقيم في

جنوب أفريقيا وهو أحد أصدقاء شارون بتحويل مبلغ ٥,١ ملايين دولار إلى حساب نجلي شارون جلعاد وأومري أما الفضيحة الثانية فتدور حول قيام رجل الأعمال الإسرائيلي البارز ديفيد أرمن بإلحاق (جلعاد) نجل شارون بالعمل لديه عام ١٩٩٩ وإعطائه رشاوى بقيمة ٦,٢ ملايين شيكل ليقنع والده الذي كان وزيرا للخارجية آنذاك بتعزيز صفقات عقارية إحداها تخص منتجعا سياحيا في جزيرة يونانية .

وقد استجوبت الشرطة شارون على مدى سبع ساعات في تشرين الماضي أكتوبر في ما يتعلق بالاتهامين وفي أوائل كانون الثاني يناير عرضت القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي تسجيلا يظهر فيه شارون وهو يناقش المساهمات الخارجية من أوروبا والولايات المتحدة في حملته الانتخابية كما أذاعت القناة التلفزيونية وثيقة تكشف عددا من الحسابات المصرفية بالعملات الأجنبية في البنوك الإسرائيلية يعتقد أنها تختص بالمساهمات غير القانونية في الحملة الانتخابية ، أما الفضيحة الثالثة فترتبط بعلاقة العمل بين شيمون كوهين والد زوجة رجل الأعمال ألحنان تننباوم الذي أفرج عنه في صفقة تبادل الأسرى مع حزب الله وحكومة شارون .

صحيفة غلويس الإسرائيلية أضافت في عددها الأخير قضية فساد أخرى إلى ملف شارون وقالت في تحقيق لها إن شارون أبلغ في العام ١٩٩١ إلى رجل الأعمال سامي الشمعون موافقته الشفوية على تأجيره في وسط إسرائيل بشروط تتعارض والشروط المتبعة في دائرة أراضي إسرائيل مشيرة إلى أن ذلك يمكن أن يؤدي إلى فتح ملف آخر قد يؤدي إلى القضاء ويضاف بذلك إلى ملف شارون الذي يزداد تضخما من يوم إلى آخر ونسبت صحيفة معاريف إلى مصدر قضائي رفيع أن المستشار القضائي للحكومة الإسرائيلية سيصدر قرارا بشكل توجيه لائحة اتهام في حق شارون مطلع شهر حزيران المقبل ، من جهة ثانية يواجه شارون اتهامات بارتكاب جرائم حرب وقد سمحت بلجيكا لمحاكمها بمتابعة الدعاوى التي أقامها ضده ثلاثة وعشرون فلسطينيا من الناجين من مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان ويخول القانون البلجيكي الصادر عام ١٩٩٣ المحاكم البلجيكية محاكمة مرتكبي جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة أينما كان وقوع هذه الجرائم وجنسيات وأماكن الضحايا والمتهمين .

شارون وقيم العدالة والقانون الإسرائيلي

ناهض منير الريس عضو المجلس التشريعي الفلسطيني

*** صحيفة هآرتس تقول رغم اتهام شارون بالرشوة حظي بانتصار ساحق في الانتخابات وإن ذلك لم يكن ضربة لحزب العمل لكنه ضربة لقيم القانون والعدالة في إسرائيل ، ما هو تعليقكم على هذا الكلام؟**

تعليق صائب من قبل هذه الجريدة وأن شارون ما كان له أبدا أن يكون في هذا الموقع قديما في زمن القادة التاريخيين في إسرائيل أمثال بن غوريون ما لم يكن الجمهور الإسرائيلي قد تخدر بالكره والبغض والرغبة في الدم إلى درجة أن ينتخب هذا السفاح الذي وصفه قادة إسرائيل القدامى بأنه كذوب على الرغم من أنه ضابط جيد والذي يعرف عنه أنه كثير الكذب ولا ينطلق أبدا من انطلاقات أخلاقية ، وإذا كان إسحاق رابين في الماضي وهو القائد الإسرائيلي الذي يملك خلفية من القيم الشخصية لم يجد ضيرا في أن يعمل على مخالفة قوانين النقد في إسرائيل بإيداع أموال لزوجته في أميركا دون أن يخطر سلطة النقد الإسرائيلية إذا كان هذا قد حدث من رجل مثل شخصية وخلفية إسحاق رابين فما بالك بشخص مثل شارون الذي ليس لديه حلال ولا حرام ولا أي قيمة في هذه الحياة .

*** لماذا تقبل إسرائيل بهذه الأمور بشكل عادي ، هل القيم والأخلاق والمال والفساد غير مهمة أمام الأمن الذي يعد به شارون الإسرائيليين؟**

الجمهور الإسرائيلي في الحقيقة بأسره واقع تحت قدر كبير من التعبئة الحاقدة التي تعتمد على البغض والكراهية إضافة إلى عنصر الخوف فهم يجدون في هذا السفاح صدى لما يدور في نفوسهم من أحقاد تاريخية ومن خوف موروث من الحاضر والمستقبل .

*** هل أرييل شارون سيدفع ثمن هذه الرشوة حيث تقول الصحف الإسرائيلية إنه لا يمكن البقاء على رأس دولة متطورة رئيس حكومة مرتش؟**

هذا يتوقف على مدى الفساد الكائن الموجود في إسرائيل وأعني بذلك المؤسسة القضائية ، فهذه المؤسسة فيما يتعلق بالعرب والحقوق العربية هي دائما منحازة مع حكومتها ولكن هناك أمرا مشهودا بأن القضاء الإسرائيلي فيما يتعلق بالفساد في الحكومة الإسرائيلية وقف أحيانا بعض المواقف التي دلت على أن هناك اهتماما وحرصا في بعض القضاة في إسرائيل بالحفاظ على هذا الكيان الصهيوني قائما بأن لا يسمح للفساد بأن يسيطر عليه لكن ذلك كان منذ زمن بعيد ، فهل اليوم الحال كما هي أم أنها تغيرت أو بمعنى أن مؤسسة الفساد في الحكومة الإسرائيلية والقضاء الإسرائيلي تسهل لشارون أن يمر من هذه الأزمة التي تحيط به من جميع النواحي .

*** بالعودة إلى المجازر والفكر الصهيوني القديم أن يذبح اليهود الشعوب الأخرى ومن فكر جابوتنسكي الإرهابي الأكبر في إسرائيل يتأثر بهذا الفكر بيغن وشامير وشارون وهناك دعوة لذبح الآخرين ، هل هذه الأسس الفكرية هي الأساس لممارسات شارون الإجرامية وما دامت أميركا وأوروبا تعلمان بذلك لماذا فكر جابوتنسكي لا يحذف من المناهج التعليمية وهو يدرس في المدارس الإسرائيلية؟**

نحن أمام مشكلة حقيقية وهي أن تعاليم جابوتنسكي لم تعد مقصورة على اليمين المتطرف فالمشكلة الحقيقية بأنها غزت الجمهور الإسرائيلي نفسه وأعني أنه منذ نحو عشرين عاماً ونحن نقرأ لعلماء اجتماع إسرائيليين من نفس إسرائيل يقولون إن هناك ميلاً إلى اليمين وهي مسألة مشهودة ليس في وصول الليكود إلى الحكم فقط وإنما في أن العمل لم يعد حزباً ذا شأن في الكيان الإسرائيلي وأن الذين لهم شأن في حزب العمل الذي يصطلح بعض مثقفينا على أنه الآن هو حزب اليسار أي اليمينيين أي الجناح الأقرب إلى اليمين في العمل هو الذي يسيطر ولديه أكثر من الآخرين ، السؤال عما إذا كان جابوتنسكي وتعاليمه التي تدرس في المدارس يمكن أن تخف مسألة أنها سابقة لأوانها كثيراً إلا إذا وصل الإسرائيليون في يوم من الأيام إلى أن يؤمنوا إيماناً مطلقاً بأنهم غاصبون وأنهم يجب أن يتثقفوا بثقافة سلامية حقيقية ولا يتمسكوا بما يتمسكون به اليوم من تعاليم هذا الإرهابي جابوتنسكي الذي فرخ وولد هذه الأفاعي التي نراها اليوم في إسرائيل .

*** إلى أي مدى تلاميذ جابوتنسكي يعملون وفق أفكاره بحيث أنه يرى أن الاغتيال السياسي ليس جريمة بل هو هدف ولا يتحقق التحرر والتحرير إلا بالدم ، ماذا ترى في هذا الفكر المتطرف وموافقة الولايات المتحدة عليه؟**

أميركا كالمنوّم مغناطيسياً في كل ما من شأنه الحكم على الإسرائيليين وعلى إسرائيل أو اتخاذ وجهة نظر مخالفة لإسرائيل اليمينية المتطرفة ، أميركا تسير للأسف ليس فقط منحازين إلى إسرائيل بشكل عام ولكنهم منحازون إلى اليمين المتطرف وهذا مدهش ، وأنا أقول إن شارون حالة خاصة من تلاميذ جابوتنسكي لكن بشكل عام إن جميع تلاميذ جابوتنسكي هم دمويون ولنا أن نتذكر مناحيم بيغين الذي دبر وافتخر في كتابه مذبحة دير ياسين ونذكر مذبحة شارون في قبية ولكن على سبيل المثال لأن الشخصية التي تعتبر شخصية ذات طابع ثقافي في اتباعها فكر جابوتنسكي أعني به نتنياهو في كتابه (مكان تحت الشمس) قال إن الصرب كانوا على حق عندما قتلوا أهل البوسنة والهرسك لأنه إذا كانت كل أقلية في أحد البلدان تريد أن تصبح ثائرة وأن تأخذ لها مكاناً وكياناً في ذاك البلد من الجائز أن تتم تصفيتها دموياً وهذا الكلام موجود في كتاب نتنياهو وهو يقارن بين ذلك ومطلب الفلسطينيين في أن تكون لهم دولة فهو يتحدث عن إرادة الفلسطينيين في أن تكون لهم دولة بهذا المنطق .

*** هل إذا جاء نتنياهو إلى الحكم بدل شارون سيكون أكثر تطرفاً؟**

نعم سيكون أكثر تطرفاً من الناحية الإستراتيجية والفكرية أما شارون فهو الأكثر تطرفاً من النواحي العملية في تنفيذ المجازر والتخطيط لها .

*** في هذه الحالة هل يمكن اعتبار الصهيونية هي نازية وأكثر منها حيث إن جابوتنسكي يقول نحن حالة لا تتعاون فيها الصهيونية مع النازية كيف تصف حالة الصهيونية في إسرائيل؟**

الدولة الإسرائيلية قامت على أساس من الاغتصاب ، فالنازي بالأساس كانت له دولته والأراضي هي من حق الألمان وكان هتلر باحثاً عن أسواق أما بالنسبة لإسرائيل فهي استولت على أراضينا وهي الآن تستولي على ما تبقى منها فالأساليب التي اتبعها القادة الإسرائيليون في مختلف العهود وخصوصاً في السنوات الأخيرة هي أساليب لا

تختلف في شيء عن أساليب النازية وإذا كان النازي حقا قد دبر مذابح جماعية لليهود فإن الشاهد الآن أن الشعب الفلسطيني يشهد مذبحة مستمرة على أقصاه .

*** هل مقولة موسوليني في إيطاليا وهتلر في ألمانيا وجابوتنسكي في فلسطين مسألة ومقولة تنسحب على يومنا الحاضر؟**

جابوتنسكي ظل في نطاق الفكر والتنظيم ولكنه لم يصبح رجل دولة وبإمكان أن نضع أمثال شارون بدون تحفظ في نفس الخانة والمواصفات .

خلاصة الفصل الثالث

وبعد هذا ، هل تنهار أسطورة شارون في الخيال الإسرائيلي ، وهو الذي أشعل لإسرائيل حروبا في قمع ووحشية وتفجير وتدمير ، لم يسبقه إليه أحد ، وهو الذي أقام الجدار العنصري العازل ، الذي يسعى به إلى تطويق الضفة الغربية من جهاتها الأربع ، ويصادر ثمانية وخمسين في المئة من أراضيها ، ويعزل نصف مليون فلسطيني عن ممتلكاتهم ومزارعهم ، في كانتونات على ما تبقى من كيان فلسطيني شكلي ، يقام على أقل من عشرة في المئة من كل أرض فلسطين ، محروم من كل أنواع السيادة ، لا حدود دولية ، برية ، أو بحرية ، أو جوية ، مدمرا بذلك بقايا أوسلو وخريطة الطريق ، ووثيقة جنيف ، ورؤية بوش المظلمة ،لدولة فلسطينية موهومة . وهذا فيما العرب شعوبا تتظاهر وأنظمة تقمع ، أمة تبكي على مجد تليد ، ودولا تتسابق إلى قوى خارجية أميركية أو إسرائيلية ، تحميها من ثورات شعوبها ، فلا تجد أمامها سوى (شارون) يضرب ولا يضرب ، يهدد ولا يهدد ، يتوعد ولا يتوعد ، فقد غاب عن العرب ، زمان الفرسان ، حلت مكانه الفروسية العبودية ، ومكان النخوة والشموخ ، الطاعة والركوع ، فهل يستغرب أحد لماذا تعطي إسرائيل (شارونها) وسام النصر ووشاح المجد ، فإن من علم الإسرائيلي الذليل مكرمة ، وأعطى اليهودي التائه نظاما ودولة ، ووضع في يده بندقية وسيفا ، ليست قوته ، وإنما ضعف العرب وانقسامهم وظلمهم لأنفسهم حتى لحق فيهم ظلم الآخرين عليهم .

❖ ❖ ❖

ملحقــات

الوثيقة الصهيونية لتفتيت الأمة العربية

قراءة وتقديم: محمد سيف الدولة

التقديم

في عام ١٩٨٢ نشرت مجلة (كيفونيم) التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية ، وثيقة بعنوان (إستراتيجية إسرائيلية للثمانينيات) .

ولقد نشرت الوثيقة باللغة العبرية ، وتمت ترجمتها إلى اللغة العربية ، وقدمها الدكتور عصمت سيف الدولة كأحد مستندات دفاعه عن المتهمين في قضية تنظيم ثورة مصر عام ١٩٨٨م .

ولقد رأيت أهمية إعادة نشر هذه الوثيقة الآن للأسباب الآتية :

* إن تقسيم العراق كأحد أهداف الحرب الحالية على العراق هو أحد الأفكار الرئيسية الواردة في الوثيقة المذكورة .
* إن الخطط الحالية الساعية لفصل جنوب السودان وتقسيمه هي أيضا ضمن الأفكار الواردة في الوثيقة .
* إن الاعتراف الرسمي بالأمازيغية كلغة ثانية إلى جانب اللغة العربية في الجزائر هو خطوة لا تبتعد عن التصور الصهيوني عن المغرب العربي .
* إن مخطط تقسيم لبنان إلى عدد من الدويلات الطائفية ، الذي حاولت الدولة الصهيونية تنفيذه في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي ، وفشلت في تحقيقه ، هو تطبيق عملي لما جاء في هذه الوثيقة بخصوص لبنان .
* إن الحديث الدائر الآن في الأوساط الصهيونية حول تهجير الفلسطينيين إلى الأردن ، والتخوفات العربية من استغلال أجواء العدوان على العراق لتنفيذ ذلك ، هو من أساسيات الأفكار المطروحة في الوثيقة .

* وأخيراً وليس آخراً ، إن الأخطار التي تتعرض لها مصر واردة بالتفصيل في الوثيقة الصهيونية .

والحديث عن وثيقة من هذا النوع ليس حديثاً ثانوياً يمكن تجاهله ، فهم ينصون فيها صراحة على رغبتهم في مزيد من التفتيت لأمتنا العربية ، كما أن تاريخنا الحديث هو نتاج لمشروعات استعمارية مماثلة ، بدأت أفكاراً وتحولت إلى اتفاقات ووثائق تلزمنا وتحكمنا حتى الآن .

فمعاهدة لندن عام ١٨٤٠ سلخت مصر منذ ذلك الحين حتى تاريخه عن الأمة العربية ، فسمحت لمحمد علي وأسرته بحكم مصر فقط وحرمت عليه أي نشاط خارجها ، ولذلك نسمي هذه الاتفاقية (اتفاقية كامب ديفيد الأولى) .

واتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ قسمت الوطن العربي ، هذا التقسيم البائس الذي نعيش فيه حتى الآن والذي جعلنا مجموعة من العاجزين المحبوسين داخل حدود مصطنعة ، محرومين من الدفاع عن باقي شعبنا وباقي أرضنا في فلسطين أو في العراق أو في السودان .

ووعد بلفور عام ١٩١٧ كان المقدمة التي أدت إلى اغتصاب فلسطين فيما بعد ، ثم تلاه وقام على أساسه صك الانتداب البريطاني على فلسطين في ٢٩ سبتمبر عام ١٩٢٢ ، الذي اعترف في مادته الرابعة بالوكالة اليهودية من أجل إنشاء وطن قومي لليهود ، فأعطوا بذلك الضوء الأخضر للهجرة اليهودية إلى فلسطين .

فلما قوي شأن العصابات الصهيونية في فلسطين ، أصدرت لهم الأمم المتحدة قراراً بتقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وهو القرار الذي أعطى مشروعية للاغتصاب الصهيوني وأنشئت بموجبه دولة إسرائيل ، وهو القرار الذي رفضته الدول العربية في البداية وظلت ترفضه عشرين عاماً ، لتعود وتعترف به بموجب القرار رقم ٢٤٢ الصادر من الأمم المتحدة عام ١٩٦٧ ، الذي ينص على حق إسرائيل في الوجود وحقها في أن تعيش بأمان على أرض فلسطين المغتصبة .

وعلى أساس هذا القرار أبرمت معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية الموقّعة في ١٩٧٩/٣/٢٦ ، والتي بموجبها خرجت مصر من الصراع العربي ضد المشروع الصهيوني ، لتنفرد إسرائيل بالأقطار العربية الأخرى .

كل ذلك وغيره الكثير بدأ أفكاراً وأهدافاً استعمارية وتحول فيما بعد إلى حقائق ، وبالتالي ليس من المستبعد أبداً أن تتحول الأفكار التي وردت في الوثيقة الصهيونية المذكورة إلى أمر واقع ولو بعد حين ، خصوصاً الآن بعد العدوان الأميركي على العراق ومخاطر التقسيم التي تخدم التصور الصهيوني ذاته عن المنطقة .

والوثيقة الصهيونية منشورة في الصفحات التالية بنص كلماتها وفقراتها ، مع فارق واحد هو أنني أخذت ما جاء متفرقاً في الوثيقة بخصوص كل قطر ، وقمت بتجميعه في فقرة واحدة وحاولت ترقيمه وتبنيده لتسهل متابعته .

وأخيراً فإن الهدف الذي رجوته من نشر هذه الوثيقة هو أن ننظر إلى العدوان علينا في مساره التاريخي ، وأن نراه على حقيقته كمخطط موحد ، منتظم ، متسلسل ، ممتد ، وأن نحرر أنفسنا من منطق التناول المجزأ لتاريخنا الذي يقسمه إلى حوادث منفصلة عن بعضها البعض ، آملاً في النهاية ألا تقتصر حياتنا على مجموعة من الانفعالات وردود الفعل اللحظية المؤقتة ، التي تعلو وقت الشدة وتخبو في الأوقات الأخرى ، فتاريخنا كله ، ومنذ زمن بعيد ، ولزمن طويل آتٍ ، هو وقت شدة .

نص الوثيقة الصهيونية

أولاً : نظرة عامة على العالم العربي والإسلامي

إن العالم العربي الإسلامي هو بمثابة برج من الورق أقامه الأجانب (فرنسا وبريطانيا في العشرينات) دون أن توضع في الحسبان رغبات وتطلعات سكان هذا العالم .

لقد قسّم هذا العالم إلى ١٩ دولة كلها تتكون من الأقليات والطوائف المختلفة والتي تعاد كل منهما لأخرى وعليه فإن كل دولة عربية إسلامية معرضة اليوم إلى خطر التفتت العرقي والاجتماع في الداخل إلى حد الحرب الداخلية كما هي الحال في بعض هذه الدول .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك الوضع الاقتصادي يتبين لنا كيف أن المنطقة كلها في الواقع بناء مصطنع كبرج الورق لا يمكنه التصدي للمشكلات الخطيرة التي تواجهه .

في هذا العالم الضخم والمشتت توجد جماعات قليلة من واسعي الثراء وجماهير غفيرة من الفقراء فمعظم العرب متوسط دخلهم السنوي نحو ٣٠٠ دولار في العام .

إن هذه الصورة قاتمة وعاصفة جدا للوضع من حول إسرائيل ، وتشكل بالنسبة إلى إسرائيل تحديات ومشكلات وأخطارا ، ولكنها تشكل أيضا فرصا عظيمة .

❖ ❖ ❖

ثانيا : مصـــر

في مصر توجد أغلبية سنية مسلمة مقابل أقلية كبيرة من المسيحيين الذين يشكلون الأغلبية في مصر العليا – نحو ٨ ملايين نسمة – وكان السادات قد أعرب في خطابه في مايو عام ١٩٨٠ عن خشيته من أن تطالب هذه الأقلية بقيام دولتها الخاصة أي دولة لبنانية مسيحية جديدة في مصر .

والملايين من السكان على حافة الجوع نصفهم يعانون من البطالة وقلة عدد المساكن ، في منطقة فيها أعلى نسبة تكدس سكاني في العالم .

وباستثناء الجيش فليس هناك أي قطاع يتمتع بقدر من الانضباط والفاعلية ، والدولة في حالة دائمة من الإفلاس بدون المساعدات الخارجية الأميركية التي خصصت لها بعد اتفاقية السلام .

إن استعادة شبه جزيرة سيناء بما تحتويه من موارد طبيعية ومن احتياطي يجب إذن أن تكون هدفا أساسيا من الدرجة الأولى اليوم ، إن المصريين لن يلتزموا باتفاقية السلام بعد إعادة سيناء ، وسوف يفعلون كل ما في وسعهم لكي يعودوا إلى أحضان العالم العربي ، وسوف نضطر إلى العمل لإعادة الأوضاع في سيناء إلى ما كانت عليه .

إن مصر لا تشكل خطرا عسكريا إستراتيجيا على المدى البعيد بسبب تفككها الداخلي ، ومن الممكن إعادتها إلى الوضع الذي كانت عليه بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ بطرق عديدة .

إن مصر بطبيعتها وبتركيبتها السياسية الداخلية الحالية هي بمثابة جثة هامدة فعلا بعد سقوطها ، وذلك بسبب التفرقة بين المسلمين والمسيحيين والتي سوف تزداد

حدتها في المستقبل ، إن تفتيت مصر إلى أقاليم جغرافية منفصلة هو هدف إسرائيل السياسي في الثمانينيات على جبهتها الغربية .

إن مصر المفككة والمقسمة إلى عناصر سيادية متعددة ، على عكس ما هي عليه الآن ، سوف لا تشكل أي تهديد لإسرائيل ، بل ستكون ضمانا للأمن والسلام فترة طويلة ، وهذا الأمر هو اليوم في متناول أيدينا .

إن دولا مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منها سوف لن يكون لها وجود بصورتها الحالية ، بل ستنضم إلى حالة التفكك والسقوط التي ستتعرض لها مصر ، فإذا ما تفككت مصر فستتفكك سائر الدول الأخرى ، إن فكرة إنشاء دولة قبطية مسيحية في مصر العليا إلى جانب عدد من الدويلات الضعيفة التي تتمتع بالسيادة الإقليمية في مصر- بعكس السلطة والسيادة المركزية الموجودة اليوم- هي وسيلتنا لإحداث هذا التطور التاريخي ، إن تفتت لبنان إلى خمس مقاطعات إقليمية يجب أن يكون سابقة لكل العالم العربي ، بما في ذلك مصر وسورية والعراق وشبه الجزيرة العربية .

❖ ❖ ❖

ثالثا : ليبيا

إن القذافي يشن حروبه المدمرة ضد العرب أنفسهم انطلاقا من دولة تكاد تخلو من وجود سكان يمكن أن يشكلوا قومية قوية وذات نفوذ ، ومن هنا جاءت محاولاته لعقد اتفاقيات باتحاد مع دولة حقيقية كما حدث في الماضي مع مصر ويحدث اليوم مع سورية .

❖ ❖ ❖

رابعا : السودان

أما السودان أكثر دول العالم العربي الإسلامي تفككا ، فإنها تتكون من أربع مجموعات سكانية كل منها غريبة عن الأخرى ، فمن أقلية عربية مسلمة سنية تسيطر على أغلبية غير عربية أفريقية ، إلى وثنيين إلى مسيحيين .

❖ ❖ ❖

خامساً : سورية

إن سورية لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن لبنان الطائفية باستثناء النظام العسكري القوي الذي يحكمها ، ولكن الحرب الداخلية الحقيقية اليوم بين الأغلبية السنية والأقلية الحاكمة من الشيعة العلويين الذين يشكلون ١٢ في المئة فقط من عدد السكان تدل على مدى خطورة المشكلة الداخلية .

إن تفكك سورية والعراق في وقت لاحق إلى أقاليم ذات طابع قومي وديني مستقل ، كما هي الحال في لبنان ، هو هدف إسرائيل الأسمى في الجبهة الشرقية على المدى القصير ، فسوف تتفتت سورية تبعاً لتركيبها العرقي والطائفي إلى دويلات عدة كما هي الحال الآن في لبنان .

وعليه فسوف تظهر على الشاطئ دولة علوية ، وفي منطقة حلب دويلة سنية ، وفي منطقة دمشق دويلة سنية أخرى معادية لتلك التي في الشمال . أما الدروز فسوف يشكلون دويلة في الجولان التي نسيطر عليها ، وكذلك في حوران وشمال الأردن ، وسوف يكون ذلك ضماناً للأمن والسلام في المنطقة بكاملها على المدى القريب ، وهذا الأمر هو اليوم في متناول أيدينا .

❖ ❖ ❖

سادساً : العراق

إن العراق لا يختلف كثيراً عن جارته ولكن الأغلبية فيه من الشيعة والأقلية من السنة ، إن ٦٥ في المئة من السكان ليس لهم أي تأثير على الدولة التي تشكل الفئة الحاكمة فيها ٢٠ في المئة إلى جانب الأقلية الكردية الكبيرة في الشمال ، ولولا القوة العسكرية للنظام الحاكم وأموال البترول لما كان بالإمكان أن يختلف مستقبل العراق عن ماضي لبنان وحاضر سورية .

إن بشائر الفرقة والحرب الأهلية تلوح فيه اليوم ، خاصة بعد تولي الخميني للحكم والذي يعتبر في نظر الشيعة العراقيين زعيمهم الحقيقي وليس صدام حسين .

إن العراق الغني بالبترول والذي تكثر فيه الفرقة والعداء الداخلي هو المرشح التالي لتحقيق أهداف إسرائيل .

إن في قوة العراق خطورة على إسرائيل في المدى القريب أكبر من الخطورة النابعة من قوة أي دولة أخرى ، وسوف يصبح بالإمكان تقسيم العراق إلى مقاطعات إقليمية طائفية كما حدث في سورية في العصر العثماني ، وبذلك يمكن إقامة ثلاث دويلات (أو أكثر) حول المدن العراقية : دولة في البصرة ، دولة في بغداد ، ودولة في الموصل ، بينما تنفصل المناطق الشيعية في الجنوب عن الشمال السني الكردي في معظمه .

❖ ❖ ❖

سابعا : لبنان

أما لبنان فإنه مقسم ومنهار اقتصاديا كونه لا توجد فيه سلطة موحدة ، بل خمس سلطات سيادية (مسيحية في الشمال تؤيدها سورية وتتزعمها أسرة فرنجية ، وفي الشرق منطقة الكتائب ، وإلى الجنوب منها وحتى نهر الليطاني دولة لمنظمة التحرير الفلسطينية هي في معظمها من الفلسطينيين ، ثم دولة الرائد سعد حداد من المسيحيين ونحو نصف مليون من الشيعة) .

(ملحوظة من المحرر : كان هذا هو الوضع اللبناني زمن كتابة الوثيقة ، ولكن القوى الوطنية اللبنانية نجحت في إعادة الوحدة الوطنية) .

❖ ❖ ❖

ثامنا : السعودية والخليج

إن جميع إمارات الخليج وكذلك السعودية قائمة على بناء هش ليس فيه سوى البترول .

وفي البحرين يشكل الشيعة أكثرية السكان ولكن لا نفوذ لهم ، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة يشكل الشيعة أغلبية السكان ، وكذلك الحال في عمان وفي اليمن الشمالية ، وفي جنوب اليمن توجد أقلية شيعية كبيرة ، وفي السعودية نصف السكان من الأجانب المصريين واليمنيين وغيرهم بينما القوى الحاكمة هي أقلية من السعوديين ، أما في الكويت فإن الكويتيين يشكلون ربع السكان فقط .

إن دول الخليج والسعودية وليبيا تعد أكبر مستودع للبترول والمال ، ولكن المستفيد من كل هذه الثروة هي أقليات محدودة لا تستند إلى قاعدة عريضة وأمن داخلي ، وحتى الجيش ليس في استطاعته أن يضمن لها البقاء . إن الجيش السعودي بكل ما لديه من عتاد لا يستطيع تأمين الحكم ضد الأخطار الفعلية من الداخل والخارج ، وما حدث في مكة عام ١٩٨٠ ليس سوى مثال لما قد يحدث .

إن شبه الجزيرة العربية بكاملها يمكن أن تكون خير مثال للانهيار والتفكك كنتيجة لضغوط من الداخل ومن الخارج ، وهذا الأمر في مجمله ليس مستحيلاً على الأخص بالنسبة إلى السعودية ، سواء دام الرخاء الاقتصادي المترتب على البترول أو قل في المدى القريب .

إن الفوضى والانهيار الداخلي هما أمران حتميان وطبيعيان على ضوء تكوين الدول القائمة على غير أساس .

❖ ❖ ❖

تاسعاً : المغرب العربي

في الجزائر هناك حرب أهلية في المناطق الجبلية بين الشعبين اللذين يكونان سكان هذا البلد ، كما أن المغرب والجزائر بينهما حرب بسبب المستعمرة الصحراوية الإسبانية بالإضافة إلى الصراعات الداخلية التي تعاني منها كل منهما ، كما أن التطرف الإسلامي يهدد وحدة تونس .

❖ ❖ ❖

عاشراً : إيران وتركيا وباكستان وأفغانستان

إن إيران تتكون من النصف المتحدث بالفارسية والنصف الآخر تركي من الناحية العرقية واللغوية وفي طباعه أيضاً ، أما تركيا فمنقسمة إلى النصف من المسلمين السنة الأتراك الأصل واللغة والنصف الثاني أقليات كبيرة من ٢١ مليون شيعي علوي و٦ ملايين كردي سني .

وفي أفغانستان خمسة ملايين من الشيعة يشكلون نحو ثلث عدد السكان ، وفي باكستان السنية نحو ١٥ مليون شيعي يهددون كيان هذه الدولة .

❖ ❖ ❖

الأردن وفلسطين

الأردن هي في الواقع فلسطينية حيث الأقلية البدوية من الأردنيين هي المسيطرة ، ولكن أغلبية الجيش من الفلسطينيين وكذلك الجهاز الإداري ، وفي الواقع تعد عمان فلسطينية مثلها مثل نابلس ، وهي هدف إستراتيجي وعاجل للمدى القريب وليس للمدى البعيد ، ذلك لأنها لن تشكل أي تهديد حقيقي على المدى البعيد بعد تفتيتها ، ومن غير الممكن أن يبقى الأردن على حالته وتركيبته الحالية فترة طويلة .

إن سياسة إسرائيل – إما بالحرب أو بالسلم- يجب أن تؤدي إلى تصفية الحكم الأردني الحالي ونقل السلطة إلى الأغلبية الفلسطينية .

إن تغيير السلطة شرقي نهر الأردن سوف يؤدي أيضا إلى حل مشكلة المناطق المكتظة بالسكان العرب غربي النهر ، سواء بالحرب أو في ظروف السلم .

إن زيادة معدلات الهجرة من المناطق وتجميد النمو الاقتصادي والسكاني فيها هو الضمان لإحداث التغيير المنتظر على ضفتي نهر الأردن ، ويجب أيضا عدم الموافقة على مشروع الحكم الذاتي أو أي تسوية أو تقسيم للمناطق ، وإنه لم يعد بالإمكان العيش في هذه البلاد في الظروف الراهنة دون الفصل بين الشعبين ، بحيث يكون العرب في الأردن واليهود في المناطق الواقعة غربي النهر .

إن التعايش والسلام الحقيقي سوف يسودان البلاد ، فقط إذا فهم العرب أنه لن يكون لهم وجود ولا أمن دون التسليم بوجود سيطرة يهودية على المناطق الممتدة من النهر إلى البحر ، وإن أمنهم وكيانهم سوف يكونان في الأردن فقط .

إن التمييز في دولة إسرائيل بين حدود عام ١٩٦٧ وحدود عام ١٩٤٨ لم يكن له أي مغزى ، وفي أي وضع سياسي أو عسكري مستقبلي يجب أن يكون واضحا أن حل

مشكلة عرب إسرائيل سوف يأتي فقط عن طريق قبولهم لوجود إسرائيل ضمن حدود آمنة حتى نهر الأردن وما بعده ، تبعاً لمتطلبات وجودنا في العصر الصعب (العصر الذري الذي ينتظرنا قريباً) ، فليس بالإمكان الاستمرار في وجود ثلاثة أرباع السكان اليهود على الشريط الساحلي الضيق والمكتظ بالسكان في العصر الذري .

إن إعادة توزيع السكان هو إذن هدف إستراتيجي داخلي في الدرجة الأولى ، ومن دون ذلك سوف لا نستطيع البقاء في المستقبل في إطار أي نوع من الحدود . إن مناطق يهودا والسامرة والجليل الضمان الوحيد لبقاء الدولة ، وإذا لم نشكل أغلبية في المنطقة الجبلية فإننا لن نستطيع السيطرة على البلاد ، وسوف نصبح مثل الصليبيين الذين فقدوا هذه البلاد التي لم تكن ملكاً لهم في الأصل وعاشوا غرباء فيها منذ البداية .

إن إعادة التوازن السكاني الإستراتيجي والاقتصادي لسكان البلاد هو الهدف الرئيسي والأسمى لإسرائيل اليوم .

إن السيطرة على المصادر المائية من بئر السبع وحتى الجليل الأعلى هي بمثابة الهدف القومي المنبثق من الهدف الإستراتيجي الأساسي ، والذي يقضي باستيطان المناطق الجبلية التي تخلو من اليهود اليوم .

❖ ❖ ❖

انتهت الوثيقة

بين الوحدة والتعددية تكامل وتوازن
بين الوحدة والبعثرة تناقض محض !

صادق جواد سليمان

عندما تتكون أمة فتتماسك في ذاتها ، فتتوضح معالمها متميزة عن معالم سواها من الأمم ، يرتفق تكونها بتأصل قناعات مركزية في وعي تلك الأمة تتحدد بها مقاصدها الأساسية وتنضبط بها اجتهاداتها في تحقيق تلك المقاصد ، فإذا ارتبكت أو وهنت لدى الأمة قناعاتها المركزية بعد حين انحرفت اجتهاداتها لتخدم غير أو عكس تلك المقاصد ، بذلك ينفلت في الأمة سياق بعثرة تحدوه نزعات وأهواء تغلب فيها الأثرة ويغيب منها الولاء للصالح العام .

في الحال العربي هناك – على ما ألمس- ربك ووهن في القناعات المركزية التي تكونت بتأصلها ، وتماسكت بتواصلها ، رغم كل المفرقات ، الأمة العربية عبر قرون ، هذا الربك والوهن أراهما قد أطلقا العنان للنزعات الطائفية لتغذيب خصوصياتها على عمومية الأمة ، العلاقة هنا عكسية الأثر : كلما يقوى النزوع الطائفي في الطرف يضعف التماسك القومي في الوسط ، من ذلك أستقرئ أنه إذا استطرد سياق البعثرة تنشط الطائفيات وتتصادم ، أما الأمة فستبقى رهينة رهن مستديم .

الطائفية في ماهيتها تغليب للبعض على الكل ، للطرف على الوسط ، للجزء على الكيان ، للخاص على العام ، أيا كان المجال الذي تمارس فيه ، على الصعيد الديني هو تصرف طائفي حين لا يساوي منتمون لدين منتمين لدين آخر معهم في حقوق المواطنة . على الصعيد القطري هو تصرف طائفي حين يعمل قطر خارج الالتزام بسلامة الوطن الكبير ، على الصعيد المذهبي هو تصرف طائفي حين يتحامل أصحاب مذهب

على أصحاب مذهب آخر ، على الصعيد الشخصي هو تصرف طائفي عندما يغلب مواطن كسباً شخصياً على الصالح العام ، على الصعيد الفئوي هو تصرف طائفي حين تعزل فئة اهتماماتها عن هموم الأمة ، أو عندما يستأثر رهط بالسلطة ويتشبث بها حتى يزاح بقوة كما هو أزاح رهطاً مثله بقوة من قبل ، أخيراً هو تصرف طائفي حين تتصرف قبيلة على أساس أن لها دوام الصدارة ، ففيها وحدها يبقى الحكم ولها وحدها تعقد البيعة جيلاً بعد جيل دون سائر الناس .

مالا تعود الأمة العربية لتتثبت عند مبادئ خليقة بأن تشكل لها وسطاً فكرياً وخلقيا قومياً وواضحاً في ذاته ، وجامعاً وراعياً للأجزاء والأطراف ، وهي مبادئ العدل والمساواة وكرامة الإنسان والشورى ، فإن النزاعات الطائفية التي تقوم على نقيضات هذه المبادئ ، الإثرة والتمييز والاستهانة بالإنسان واحتكار السلطة ، ستظل توهن الوسط القومي وتفرغه من محتواه الحضاري ، وبذلك تتراجع الأمة في قابلية التماسك في الداخل والتعامل الناجح مع الأمم .

في ماضٍ غير بعيد ، عندما يتاح لي من حين لآخر أن أحضر اجتماعات الجامعة العربية ، كنت ألاحظ مصدرة على الحائط في قاعة الاجتماع (لتذكير من قد تنفعه الذكرى) الآية الكريمة : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنت أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقدكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

العبارة (كنتم على شفا حفرة من النار) شديدة الخطاب ، مؤداها : إنكم كنتم على وشك الانهيار كمجتمع من شدة ما استفحل بينكم من خلاف وعداء يدفعكم للاختصام والاقتتال لأتفه الأسباب ، ولو بقيتم على ذلك لارتكستم ، ولتعطل دوركم الحضاري بين الأمم .

أستعين بهذه الآية الكريمة لأدلل على مركزية دور الوحدة عندما يكون قيام الوحدة على المبادئ الصحيحة (حبل الله) في صعود أحوال الأمم ، وبنفس المنطق ،

لأدلل على مركزية دور البعثرة في هبوط أحوال الأمم ، حيث الأهواء لا المبادئ تحكم ، ذلك أن الوحدة المنضبطة بالمبادئ الصحيحة تلم الشمل ، تحشد الطاقات ، توسع أطر التعاون ، وتعزز مناعة الأمة ضد إغراضات الخارج ، وأن البعثرة المنفلتة عن الانضباط المبدئي تعمل عكس ذلك .

لكن ، ألا تبرز للوحدة أيضاً مخاطر بعد حين ، من حيث إن التركيز على الوحدة بنمطية رتيبة يضعف بمرور الوقت انضباطها بالمبادئ فتنقلب الوحدة إلى هيمنة تصد التعدد في الاجتهاد والتنوع في الاختيار ، وأن ذلك بدوره يخلق جفافاً في المناخ القومي تنضب فيه قدرة الأمة على الابتداع والاختراع؟

نعم يحصل ذلك حينما يأتي التأكيد على الوحدة بمعزل عن المبادئ التي قامت عليها ، فيأتي دونما تأكيد مواز ومماثل على التعددية في نسق واحد ، ذلك أن الوحدة كفة والتعددية هي الكفة الأخرى هي ميزان بناء الاستقرار والنماء ، وبذلك ليست التعددية على تضاد مع الوحدة ، التعددية بمعنى **diversity** والبعثرة بمعنى **fragmentation** ليستا من جنس واحد ، الأولى تثري وتنوع الخبرة القومية ، والأخرى تفقرها وتزرع فيها بذور شقاق . بين الوحدة والتعددية إذن تكامل وتوازن وبين الوحدة والبعثرة لا يوجد سوى تناقض محض .

الطائفية ، الفئوية ، المذهبية ، القبلية ، القطرية الشديدة ، هي كلها عناصر بعثرة ، وتحت سياقها لا يستقيم لأمة أمر ولا يكتب لها استقرار وازدهار . على عكس ذلك ، بالوحدة المقترنة بالتعددية ترتكز الأمة في وسط تحكمه مبادئ إنسانية تلتزم بها وتحتكم إليها سائر الأطراف .

التعددية نعمة إذا هكذا تماسكت مع وسط مستقر في مبادئ ، وتغدو بعثرة إذا انفصمت عنه . الوسط أمان للأمة إذا هكذا راعى التعددية ، وعرضة للاضطراب إذا كتبها فحملها على الانفلات . الأمة الواعية تسعى لوسط راكز وتعددية متحركة في نسق واحد ، ذلك أن توحداً على المقاصد وارتكازاً في الوسط لا يضيره ، بل يثريه ، تنوع في الاجتهاد وتعدد في الأطراف .

الأمة العربية – على ما أرى – لا تزال على مسافة مـن تحقيـق تـوازن كـهذا فـي خبرتها الراهنة ، لكن أملاً يراودني ، وأخاله يراودكم جميعـاً ، أن أمتنـا ، بمـا اسـتودعت من جدارة رادت بها حضارة جامعـة مـن قبـل ، سـوف تفيـق يومـاً علـى حالـها ، تجمـع أمرها ، تنبذ البعثرة ، تتبنى ميزان الوحدة والتعددية ، وبذلك تخلـق نفسـها مـن جديـد على نحو أرشد وأرحب .

من ندوة مركز الحوار العربي ٢٠٠١/٣/٢٨
حول الانقسامات الطائفية في المجتمع العربي

أين تقف حدود الطائفية والمذهبية وأين تبدأ حدود الوطن ؟ !

عام ١٨٩٧ قال ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية العالمية ، مخاطباً أعضاء المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في سويسرا : (إنكم بعد خمسين عاماً ستشهدون ولادة دولة إسرائيل) .

وكان كلام هرتزل سبباً لاستهزاء بعض أعضاء المؤتمر ، لأن المسافة الزمنية التي تحدث عنها لم تكن في نظر هذا البعض كافية لإحداث تغييرات في العالم وفي أرض فلسطين لتظهر ، كحصيلة لهذه دولة إسرائيل .

وبالفعل ، فقد شهد عام ١٩٤٧ إعلان دولة إسرائيل ، وبدء مرحلة جديدة في تاريخ المنطقة العربية ، وانتقالاً نوعياً في عمل الحركة الصهيونية بحيث أصبح للمنظمة الصهيونية العالمية دولة لها علم ونشيد ولكن ليس لها حدود نهائية .

وفي أواسط الخمسينيات تبادل بن غوريون (رئيس وزراء إسرائيل) وموسى شاريت (وزير الخارجية) رسائل عدة تحدثت عن الأسلوب المناسب لإنشاء دويلة على الحدود الشمالية مع لبنان تكون تابعة لإسرائيل ومدخلاً لها لاحتلال لبنان والشرق العربي وتقسيمه ، وكان الحل في خلاصة هذه الرسائل والاجتماعات التي جرت آنذاك : البحث عن ضابط مسيحي في الجيش اللبناني يعلن علاقته بإسرائيل ثم يدخل الجيش الإسرائيلي ويحتل المناطق الضرورية وتقوم دولة مسيحية متحالفة مع إسرائيل .

وهذا المشروع الإسرائيلي رأى النور عام ١٩٧٨ حينما أعلن الرائد سعد حداد إنشاء (دولة لبنان الحر) في الشريط الحدودي بين لبنان وإسرائيل .

وفي شباط/ فبراير عام ١٩٨٢ ، نشرت مجلة (اتجاهات- كيفونيم) التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية في القدس ، دراسة للكاتب الصهيوني أوديد بينون (مدير معهد الدراسات الإستراتيجية) تحت عنوان (إستراتيجية لإسرائيل في الثمانينيات) وجاء فيها : (إن العالم العربي ليس إلا قصرا من الأوراق بنته القوى الخارجية في العشرينيات ، فهذه المنطقة قسمت عشوائيا إلى ١٩ دولة تتكون كلها من مجموعات عرقية مختلفة ومن أقليات يسودها العداء لبعضها (. .) وإن هذا هو الوقت المناسب لدولة إسرائيل لتستفيد من الضعف والتمزق العربي لتحقيق أهدافها باحتلال أجزاء واسعة من الأراضي المجاورة لها وتقسيم البعض الآخر إلى دويلات على أساس عرقي وطائفي) .

ثم تستعرض دراسة أوديد بينون صورة الواقع العربي الراهن ، والاحتمالات الممكن أن تقوم بها إسرائيل داخل كل بلد عربي من أجل تمزيقه وتحويله إلى شرذام طائفية وعرقية .

وهذا المشروع الإستراتيجي لإسرائيل في الثمانينيات المتصل مع خطتها منذ الخمسينيات ، جرى بدء تنفيذه فعلا من خلال لبنان والاجتياح الإسرائيلي له صيف عام ١٩٨٢ ، ثم إشعال الصراعات الطائفية والمذهبية خلال فترة الاحتلال وفي أكثر من منطقة لبنانية .

وفي ١١ آب/ أغسطس عام ١٩٨٢ ، أي خلال فترة الاجتياح الإسرائيلي للبنان ، قال رئيس حزب العمل الإسرائيلي شيمون بيريز ما نصه الحرفي : (إننا لا نريد وتحت أي ظروف أن نتحول إلى شرطي في لبنان ، ولكن الحل الأقرب للتحقيق بالنسبة إلى مستقبل لبنان هو تقسيمه وإعادته مصغرا إلى الحدود التي كان عليها قبل الحرب العالمية الأولى أي إلى نظام متصرفية جبل لبنان) .

وفي عام ١٩٨٢ أيضا أعلن آرييل شارون أن نظرية (الأمن الإسرائيلي) تصل إلى حدود إيران وباكستان! .

❖ ❖ ❖

هذا العرض المختصر للمخطط الصهيوني في المنطقة العربية يعني أنه مهما طال الزمن ومهما تغيرت الحكومات الإسرائيلية من حيث طبيعتها وأشخاصها ، فإن تنفيذ المخطط يبقى مستمرا حتى يحقق أهدافه الكاملة .

فلم يرتبط المخطط الإسرائيلي بحزب معين في إسرائيل لا بشخص محدد ، بل هناك مؤسسات وأجهزة وأدوات تتابع التنفيذ منذ مؤتمر (بال) في سويسرا عام ١٨٩٧ مرورا بالاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ .

وما يقوله الزعماء الصهاينة من مخططاتهم (كما فعل هرتزل) لا يعني التنبؤ أو التنجيم ، بل هو ممارسة الأسلوب العلمي في الصراع حيث هناك دائما حركة يومية وخطط عملية لتنفيذ إستراتيجية تخدم الغاية النهائية الموضوعة سلفا . وكل مخطط غيب أي صراع عليه مراعاة عنصري الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة لاستخدامها واستغلالها لصالح المخطط واتجاهه .

وما قلناه عن المخططات الصهيونية لا يعني أننا – كعرب- ننفذ ما يريد الصهاينة أو أننا أدوات وعملاء لإسرائيل! بل الواقع هو أننا ضحية غياب التخطيط العربي الشامل مقابل وجود المخططات الصهيونية والأجنبية ، فنكون دائما (ردة فعل) على (الفعل) الإسرائيلي أو الأجنبي الذي يتوقع سلفا (بحكم التخطيط العلمي) ماهية ردود أفعالنا قبل أن تقع لتوظيفها في إطار أهدافه .

وإذا كان التساؤل جائزا عن مسؤولية بعض الأنظمة العربية تجاه ما حدث ويحدث من نجاح للمخطط الصهيوني ، فإن السؤال الخطير هو : هل يمكن أن يكون الشعب العربي كله مشاركا أو مسهلا للمخطط الصهيوني؟

❖ ❖ ❖

مغامرة تحويل الطوائف إلى كيانات

إن استعراض صورة الواقع العربي الراهن يؤدي إلى نتيجة سلبية للأسف ، بسبب الشرخ الخطير داخل الشعب الواحد في كل بلد عربي .

وأسئلة كثيرة تدور في الأذهان الآن عن غايات وأبعاد الطروحات والممارسات الطائفية والمذهبية أو العرقية التي تسود بلدانا عربية عدة بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ العربي الحديث .

ويكبر حجم الأسئلة حينما نرى مثلا هذا التركيز الإعلامي والسياسي في المنطقة ، على تفسير أي حدث فيه بشكل طائفي أو مذهبي ثم توزيع المناطق والأحزاب والمنظمات والحركات السياسية على قوالب طائفية ومذهبية .

إن استمرار التداعي في الانقسام العربي ومواصلة الفرز الطائفي أو المذهبي أو العرقي بين مجموعات الشعب الواحد في كل بلد عربي ، هو مسؤولية عامة تشمل المجتمع ككل .

إن المغامرة التي يقودها البعض في بلدان عربية عدة من أجل تحويل الطوائف والمذاهب والأقليات العرقية إلى كيانات سياسية منعزلة لن يكون مصيرها إلا نحر الطائفة أو المذهب أو الأقلية العرقية . .

وشواهد التاريخ عديدة على ذلك ، يكفي أن نأخذ مثالا حيا عاشه لبنان منذ فترة قريبة عندما حاولت إسرائيل دفع الميليشيات المسيحية في لبنان إلى التعامل معها وتحريضها على إعلان دويلة خاصة بها ثم المصير الدموي الذي اندفعت باتجاهه الأمور عقب صيف ١٩٨٣ وحرب الجبل .

ولنترك لمخيلتنا أن ترسم لوحة المستقبل فيما لو سارت المنطقة العربية باتجاه الصراعات الطائفية والمذهبية والعرقية . . وكيف ستسيل أنهار من الدم وكم سيبلغ حجم الدمار والخسائر التي ستحدث في الأرواح والممتلكات ثم الشرخ الاجتماعي الذي سيحدث في محصلة كل ذلك ، وماذا ستكون النتيجة السياسية والأرباح التي

سيحققها كل طرف إذا مشينا بنظرية التداعي في الانقسام والانشطار؟! قد يكسب آنيا أشخاص وعملاء ، لكن الثمن سيكون باهظا جدا على حساب الشعب كله والطوائف كلها والمذاهب كلها ، فلا قدرة ولا إمكانية للحياة لأي دويلة ستقوم على أساس طائفي أو مذهبي أو عرقي .

فعندما يتفجر الصراع الطائفي والعرقي تتوقف فورا الصراعات الاجتماعية ، بحيث يتقاتل الفقراء مع بعضهم البعض على أساس انقسامهم الديني أو العرقي . . وستتوقف أيضا المعارك التحررية والوطنية لأن العدو سيكون في الطائفة الأخرى أو المذهب الآخر ، وليس عند الحدود مع إسرائيل . . وسيترحم الكثيرون على اتفاقيات (سايكس- بيكو) التي قسمت البلاد العربية في مطلع القرن العشرين .

فالدرس الذي تعلمه الأعداء جيدا هو أن التقسيم الجغرافي والسياسي قد يقيم الحواجز والحدود بين الدول ولكنه لا يلغي وحدة الشعوب ، بينما التقسيم الديني والعرقي يفسخ الناس ويشرذمهم إلى أمد طويل .

كيف يمكن تجنب الوقوع في شباك الفخ الإسرائيلي المرسوم للمنطقة العربية؟

إن الإجابة عن ذلك لا تتوقف على فرد أو جماعة أو طائفة بأسرها ، وإنما المسؤولية تشمل العرب جميعا من المحيط إلى الخليج وفي كل بقعة في العالم يعيش عليها أبناء البلدان العربية .

فالمسؤولية تبدأ عند كل فرد عربي بأن يعي ما يخطط لمستقبله وضده ، وهي مسؤولية كل عائلة في أن تفرق خلال تربية أولادها بين الإيمان الديني وبين التعصب الطائفي والمذهبي الذي يرفضه الدين نفسه .

وهي مسؤولية كل طائفة أو مذهب بأن يدرك أتباع هذه الطائفة أو المذهب أين تقف حدود هذه الانتماءات ، فلا نرد على الحرمان من امتيازات سياسية

واجتماعية ، أو من أجل التمسك بها ، بتحرك يحرمنا من الوطن كله ، بل ربما من الوجود على أرضه .

والمسؤولية تشمل أيضا الأنظمة كلها والمنظمات العربية كلها التي استباحت لنفسها استخدام الاختلافات الدينية أو العرقية في صراعها مع بعضها البعض من أجل تحقيق مكاسب سياسية آنية لها .

وعلى الجميع أيضا تقع مسؤولية فهم ما يحصل بأسبابه وأبعاده السياسية وليس عن طريق المعالجة الطائفية والمذهبية لتفسير كل حدث أو قضية أو صراع .

إن المعرفة الأفضل لكل من الدين والعروبة والعرض السليم لهما من قبل المؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية ، سيساهم بدون شك في معالجة الانقسامات الطائفية والعرقية في المنطقة العربية .

كذلك ، إن البناء الدستوري السليم الذي يحقق العدالة والمساواة بين أبناء الوطن الواحد ويضمن الحريات العامة للأفراد والجماعات ، هو السياج الأنجع لوحدة أي مجتمع .

وليكن المعيار دائما في كل كلمة أو عمل أو حركة أو صراع السؤال التالي :

ماذا يخدم ما نقوله أو نفعله ، وإلى أين يمكن أن نصل؟

أي هل يخدم وحدة الشعب والوطن ويقف عند حدود عدم المساس بهما ، أم أنه سيصل بحكم الفعل وردة الفعل ونظرية التداعي في الانقسام إلى المساهمة في تنفيذ المشاريع الإسرائيلية ، ولو عن غير قصد؟! مع العلم أنه في المعارك والصراعات تكون الأعمال بالنتائج وليس بالنيات .

ورقة قدمها صبحي غندور في ندوة (مركز الحوار العربي) في ٢٠٠١/٣/٢٨ وهي أصلا من افتتاحية (الحوار) عدد أيار/ مايو عام ١٩٨٩ .

❖ ❖ ❖

الصهيونية المسيحية الأصولية(*)

المطران يوحنا إبراهيم
متروبوليت حلب

(١)

ونرفق مع هذا المؤلف محاضرة ألقاها سيادة المطران جورج رياشي في المؤتمر الدائم لمناهضة الغزو الثقافي الصهيوني ، وإن دلت على شيء فإنما تدل على حقيقية ما جاء في هذا المرجع الوثيق من معلومات وحقائق تكشف إلى حد كبير ما قام ويقوم به الصهاينة مع الفكر الصهيوني .

قبل أن أتحدث عن الجذور التاريخية للصهيونية المسيحية الأصولية وعلاقتها بالمسيحية في الغرب ، أود أن أبدأ بإلقاء الضوء على مؤتمرين مهمين عقدتهما هذه الجماعة ، الأول بين ٢٧-٢٩ آب ١٩٨٥ في مدينة بازل- سويسرا ، والثاني بين ١٠-١٥ نيسان ١٩٨٨ في مدينة القدس المحتلة ، نظراً لأهمية هذين المؤتمرين من ناحية ، ولما ورد في البيانين من معلومات مهمة وخطيرة من ناحية أخرى .

ففي المؤتمر الأول بدأ المؤتمرون بيانهم بالعبارة التالية :

نحن المندوبون المجتمعون هنا من أمم عديدة شتى وكنائس متباينة ، هنا في القاعة نفسها التي اجتمع فيها الدكتور ثيودور هرتزل منذ ٨٨ سنة ومندوبو المؤتمر الصهيوني الأول لإرساء أسس انبعاث دولة إسرائيل ، قد أتينا سوية لنصلي ونطلب من الرب لنعترف بديننا العظيم إزاء إسرائيل (الشعب والأرض والإيمان) ، ونظهر التضامن معها . ونحن ندرك أنهم مازالوا حتى اليوم ، وبعد الآلام الرهيبة التي عاناها اليهود ، يواجهون قوى حاقدة ومدمرة أخرى .

(*) ألقيت في دار الأسد للثقافة- مدينة الثورة بدعوة من المؤتمر الدائم لمناهضة الغزو الثقافي الصهيوني ودار الأسد للثقافة.

مع هذه العبارات الوجيزة كشفت الصهيونية المسيحية الأصولية عن وجهها ، فبمجرد اختيار الموقع ، وذكر هرتزل ، والمؤتمر الصهيوني الأول ، الذي أرسى أسس دولة إسرائيل ، هذا كله يكفي ليدين عمل هذه الجماعة التي اخترقت المسيحية ، لتعمل على هدمها من الداخل من ناحية ، وللدفاع عن إسرائيل الشعب والأرض والإيمان من ناحية أخرى .

ويذهب البيان أبعد من ذلك ، إذ يذكر المذبحة الكبرى التي حصلت قبل أربعين سنة من تاريخ انعقاد هذا المؤتمر ، وعبر ليس فقط عن تأييده لدولة إسرائيل ، بل دفاعه عنها . ويتحدث من كان وراء المذبحة الكبرى بقوله : إنه لن يحصل ذلك ثانية ، وهو يوجه الكلام إلى من قد ينزل مذبحة جديدة بالشعب الصهيوني . ومن خلال سبعة بنود وأربعة عشر قراراً أعلن المؤتمر الصهيوني المسيحي العالمي الأول عن الفكرة والرؤية لما يجري حولنا من أحداث خطيرة .

ففي البنود السبعة يخاطب أصحاب المؤتمر أخوتنا المسيحيين ، ولا نعلم من هم على وجه التحديد ، ولكن الدعوة هي للتجرد من كل كبرياء أو عداء لليهود ما كان منه ظاهراً وما هو خفي . ومع هذه الدعوة يقول المندوبون : نقدم الدعم للشعب اليهودي بقلب مفعم بالحب ، بالإيمان والعمل ، وذلك على هدي ما علمنا الكتاب المقدس عن عهده الأبدي عن شعبه وأرضه . ثم يوجه المؤتمر : تهنئة إلى إسرائيل على المنجزات العديدة التي تحققت في أقل من أربعة عقود ، ويحث المجتمعين : على أن يكونوا أقوياء بالرب وهم يواجهون الصعاب ، ويتوسلون إليهم بالإقرار علانية بأن ما حصل من مكتسبات في كل المجالات لم تكن إلا لأن يد الله كانت معهم . ثم يخاطب البيان الأمم التي صادقت إسرائيل والتي تتمايل سياساتها بين الدعم السياسي والحسابات السياسية بأن تقيم سفاراتها في القدس ، لسبب واحد وهو : لتأكيد الرباط المتقادم العهد بين الشعب اليهودي الأبدي وبين مدينتهم التي وهبها الله لهم .

أما الدول المعادية لإسرائيل ، ومنها الدول العربية باستثناء مصر ، فيطلب البيان : ضرورة الكف عن عرقلة السلام في الشرق الأوسط ، ويوجه أنظار الاتحاد السوفياتي آنئذ للسماح لـ ٤٠٠ ألف يهودي الذين تقدموا بطلبات للحصول على إذن بالخروج للهجرة

إلى إسرائيل ، أما الدول التي لم تعترف بعد بإسرائيل فعليها أن تعترف بها دبلوماسيا ، وأن تعارض هذه الدول أي قائمة سوداء وأي مقاطعة لإسرائيل .

وفي القرارات التي صدرت في ختام المؤتمر تدخل سافر في شؤون الاتحاد السوفياتي ودول أخرى ، والكنائس المسيحية في كل أنحاء العالم ، بحجة أن الامتياز التوراتي أو حق الهجرة إلى إسرائيل هو واجب . ففي القرار رقم (١) ذكر صريح لثلاث دول وهي : الاتحاد السوفياتي والحبشة وسورية ، لتوافق على السماح لليهود بالهجرة الحرة المباشرة إلى إسرائيل الوطن القومي الوحيد الممنوح للشعب اليهودي خصيصا ، وقد بلغت وقاحة هذا القرار إلى درجة توجيه كلام غير موزون إلى قادة هذه الدول بالعبارة التالية :

عليكم أن تطلقوا شعبي! وإلا فلن تتلقوا تجارة أو معونة في الغذاء والتكنولوجيا المتطورة ، وغيرها من السلع والخدمات التي تحتاجون إليها ، ولن تحصلوا على الفرج من تخفيف سباق التسلح الذي يقوض قدرتكم الإنتاجية الوطنية .

ويوجه هذا القرار أنظار الاتحاد السوفياتي إلى أن :

الشعب اليهودي ليس مجرد بيادق في الصراع بين الشرق والغرب ، إنهم قرة عين الله .

وفي القرارات الأخرى شرح للسبل والوسائل المختلفة لتوسع اتصالات إسرائيل والاعتراف بها دوليا ، أما الكنائس الوطنية والأبرشيات في أميركا فإنها مدعوة إلى ربط علاقات توءمة مع بعض جماعات المستوطنين في اليهودية والسامرة (اللتين تسميان خطأ الضفة الغربية) ، ثم على الدول كلها أن تنقل سفاراتها إلى القدس ، وعلى الدول الصديقة منها أن تمتنع عن تسليح أعداء إسرائيل ، وعلى الحكومات كلها الكف عن التعاطف مع الإرهابيين ، والدعوة إلى توطين اللاجئين الفارين من إسرائيل ، والإنصاف للاجئين اليهود ، ومساعدة إسرائيل اقتصاديا ، وإنشاء صندوق استثمار مسيحي عالمي ، ودعوة مجلس الكنائس العالمي إلى رؤية الصلة الكتابية بين الشعب والأرض ، وأخيرا الصلاة والانتظار بشوق لليوم الذي ستصير فيه القدس وجبل الرب قبلة أنظار البشر يوم يصير ملكوت الرب حقيقة واقعة .

بعد ثلاث سنوات من عقد المؤتمر الصهيوني المسيحي العالمي الأول ، صدر عن المؤتمر الثاني بيان ناري آخر أعلن فيه المندوبون إلى المؤتمر المجتمعون أن القدس هي عاصمة إسرائيل الأبدية ، وربطوا عملهم وأهدافهم بالكتاب المقدس بقولهم :

والصهيونية المسيحية هي صهيونية كتابية وفية للأسفار المقدسة .

لهذا يفهمون من هذه الأسفار أن الله يحب شعبه وقد أناط به مسؤولية وحق امتلاك أرض الميعاد وتعميرها ، وحُكم سكانها حسب كلمته .

وأعلن البيان جملة أمور منها : حب المؤتمرين لإسرائيل وللشعب اليهودي ، وإثبات الحق الكتابي الذي لليهود بأن يعيشوا أحراراً في أرض إسرائيل كلها بما فيها يهوديا والسامرة وغزة واعتبارها دولة يهودية ، والتشجيع على عودة اليهود من الشتات استجابة لدعوة الله الملحة والحنونة والمعبر عنها في كتب الأنبياء ، ودعوة الدول للاعتراف بقداسة ما وعد الله به الشعب اليهودي . أما بالنسبة إلى المسيحيين فإنهم يطالبون الكنيسة بأن تثوب لأي عداء لليهود ماضياً أو حاضراً ، وعن أي عقائد تحل محل الوجود الواقعي لإسرائيل أو تنفيه ، وعن أي خطايا كُتبت بحق الشعب اليهودي بالتواطؤ أو بالإهمال ، وهذه الدعوة أيضاً هي للتعبير عن المحبة والدعم لإسرائيل وللشعب اليهودي بالقول والفعل والفكر . وقد دعا البيان قادة الأردن وسورية ولبنان وغيرهم من القادة العرب إلى الاعتراف بحق إسرائيل بالوجود .

وكرر البيان ما دعا إليه في المؤتمر الأول للدول كافة للاعتراف الدبلوماسي بإسرائيل وعلى إقامة سفارات للقدس ومساعدة إسرائيل في كل الوجوه ليحصلوا على بركات الله لمباركتهم إسرائيل . ويعلن المؤتمر استنكاره لإساءة استخدام السلطة من قبل كثير من وسائل الإعلام من أجل تأليب الرأي العام العالمي ضد إسرائيل ، وربما تأتي النقطة الأخيرة في هذا البيان واحدة من أهم التصريحات وأخطرها إذ يختم البيان بالعبارة التالية :

نوصي بإنشاء فريق عمل اقتصادي تحت رعاية السفارة المسيحية ، وذلك من أجل إجراء الأبحاث والتقارير حول إمكانيات توظيف الأموال وإيداع الودائع المصرفية لإسرائيل ، تشجيع أصحاب التعهدات والمقاولين الإسرائيليين ، شراء المنتجات

الإسرائيلية وبيعها في سائر أنحاء العالم ، والتبرعات لأعمال البر والإحسان . نوصي بذلك آخذين بعين الاعتبار أنه يتوجب على المسيحيين والعرب واليهود في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ إسرائيل أن ينشئوا شراكة اقتصادية من شأنها لا أن تتيح بقاء إسرائيل فحسب بل أن تتيح ازدهارها الاقتصادي أيضا .

وأخيرا قرر المؤتمر أن يعود المؤتمرون إلى بلدانهم سفراء يعلنون الاحتفاء بالذكرى الأربعين لقيام إسرائيل ويعترفون بأن عصرا جديدا قد بدأ في تاريخ شعب الله المختار .

(٢).

هكذا كشفت المسيحية الصهيونية الأصولية الغربية عن وجهها من خلال هذين البيانين الخطيرين ، وأعلنت للملأ استغلالها للمسيحية من جهة واستثمارها للسياسة والاقتصاد لتكون في خدمة إسرائيل والشعب اليهودي من جهة أخرى . وأكدت في كل أعمالها أن ركائز الصهيونية المسيحية مبنية على اعتبارات لا تتخلى عنها منها : أن اليهود هم شعب الله المختار ، وأن الله قد منحهم صكا أبديا للأرض المقدسة في فلسطين ، ومشيئته تعالى هي أن تتضافر الجهود من أجل جمع اليهود من أرض الشتات وإنشاء وطن قومي يهودي لهم في أرض فلسطين . وبعد أن قامت إسرائيل أضافت الصهيونية المسيحية إلى أهدافها اعتبارات أخرى ، منها إعطاء إسرائيل معنى دينيا رمزيا ، والالتزام الأخلاقي ، بدعمها على أن يكون هذا الالتزام دينيا ثابتا ودائما وليس مجرد التزام سياسي متغير ومتحرك وفقا لمقتضيات لعبة الأمم ، واعتبار شرعية الدولة اليهودية مستمدة من التشريع الإلهي ، وهذا الكلام يعني أن قيام إسرائيل في المنطقة ليس إلا تحقيقا لما ورد في نبوءات أنبياء العهد القديم .

أما موضوع الأرض ، وهو واحد من ثلاثة أمور هامة طرحتها هذه الجماعة الشعب والأرض والإيمان ، فتركز المسيحية الأصولية الغربية على ضرورة التشديد على أن أرض إسرائيل هي كل الأرض التي وعد الله بها إبراهيم وذريته ، لهذا فإن أرض الميعاد لا تقف عند حدود التقسيم لما بعد سنة ١٩٤٨ ، ولا تشمل فقط الضفة الغربية (يهودا والسامرة) ، ولا غزة ما يتبعها ، ولكنها تمتد إلى أبعد من ذلك . فأرض الميعاد هي

من النيل إلى الفرات ، لهذا في نظر الصهيونية المسيحية الأصولية الغربية يجب أن يكون استمرار العمل بالشعار الذي ينادي :

إن الله يلعن لاعنيها ، لهذا فعلى الجميع أن يقدموا كل أنواع الدعم والمساعدة المادية والمعنوية لإسرائيل للحصول على بركة الله . والتزام تجمعات الصهيونية المسيحية أينما كان يتحقق من خلال تجييش الرأي العام وتوجيه قياداته لتأييد إسرائيل أيا كان القرار الذي يتخذه ، على أساس أن هذا القرار يترجم إرادة الله .

هكذا تتوضح لدينا معالم المنتسبين والمنضمين إلى ما يعرف بالصهيونية المسيحية الأصولية ، ومعلومة جديدة نشير إلى أن كلمة الافتتاح يوم ١٠ نيسان ١٩٨٨ في المؤتمر المسيحي الصهيوني الثاني كانت لرئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير الذي أكد بطريقته الخاصة استمراره بأركان الدولة الصهيونية من ناحية ، ومقاومة الفلسطينيين بكل الوسائل من ناحية ثانية ، ودعاهم مع كل مسيحيي العالم لمساعدة دولة إسرائيل . ومن هنا يعرف كل مسيحي أن غاية إنشاء هذا التجمع تحت اسم المسيحية لا علاقة لها بالكنائس المسيحية المعروفة اليوم ، والكنيسة المسيحية بكل مرجعياتها الشرعية براء من هذا التجمع وأفكاره وآرائه البعيدة عن التعاليم المسيحية السمحة .

(٣)

***ما هي الجذور التاريخية للمسيحية الصهيونية الأصولية؟**

قبل الولوج إلى الخلفية التاريخية لهذه الجماعة لابد من عرض لبعض المصطلحات التي تستعمل عندها .

الاصطلاح الأول : لفظة (أنجيلي **evengelical**) : تستعمل هذه اللفظة في الكنائس التاريخية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية بعد الإصلاح البروتستانتي ، حتى في بلادنا تسمى الكنائس البروتستانتية بالإنجيلية . ولكن عبارة إنجيلي في الولايات المتحدة الأميركية لا علاقة بها بهذه الكنائس ، مثل : اللوثرية ،

والميثوديست ، والمشيخية ، والكنائس المصلحة ، والكنائس الأنكليلكانية بكل فروعها ، لأن الحركة الإنجيلية في الأميركيتين الشمالية والجنوبية تعتمد اعتماداً كلياً على :

١- خبرة الولادة الجديدة (born again) .

٢- الكتاب المقدس باعتباره كلمة الله المعصومة .

٣- التبشير .

٤- عودة المسيح القريبة .

وفي هذه الفئة توجد تيارات مختلفة منها الجناح التقدمي ، والمنتسبون إلى هذا الجناح يقولون بالمبادئ الأربعة المذكورة قبل قليل بالإضافة إلى برنامج قوي في موضوع العدالة الاجتماعية . والجناح الثاني وفيه أكثر من ثلاثين طائفة عدد أفرادها يزيد على ٦٥ في المئة من العدد الإجمالي ، ولكل طائفة طريقتها في التبشير وبرنامجها الذي يعتمد بالدرجة الأولى على تبرعات أعضائها ، أما الجناح الثالث وهو الأكثر تطرفاً وعدد أفراده نحو ٢٥ في المئة من المجموع العام ، فهو الجناح الأصولي الذي يحتكر التبشير الإذاعي والتلفزيوني ، وهو الأسرع نمواً في العالم المسيحي الغربي . والأخطر من كل ذلك أن من جملة اهتمامات هذا التجمع الذي يبلغ عدده أكثر من ستين مليون نسمة ، يعمل على احتلال مراكز قيادية إستراتيجية تتراوح بين رئاسة الجمهورية وعضوية الكونغرس وإدارة الشركات الكبرى ، وهذا الجناح الأخير هو الأنشط والأكثر ارتباطاً من أي جناح بالنزعة الصهيونية المسيحية .

الاصطلاح الثاني : القَدَرية : وهو محاولة لتفسير تاريخ علاقة الله بالبشر بأحوال وأحقاب مخصوصة ، ويزعم المذهب الحديث في القدرية أن الله قد جعل في البشرية قَدَرين متوازيين ، أحدهما من خلال إسرائيل والثاني من خلال الكنيسة . ويُجمع منظرو القدرية في معظمهم على سبعة أقدار تدل على تطور علاقة الله بالبشر ، والقدر الحالي هو سادس هذه الأقدار ، والأخير سيكون بعودة المسيح لإقامة مملكة الألفية أي التي تدوم ألف سنة . وفي هذا الدور السابع بحسب منظور هذا

التجمع سوف تخطف الكنيسة من التاريخ وتستأنف إسرائيل دورها الأصيل كأداة لله في الأيام الأخيرة ، وسيعاد بنـاء أورشـليم المدينـة والـهيكل ، وبعـد سـبعين أسـبوعا سيعاد عرض داود .

الاصطلاح الثالث : هو العقيدة الألفية وهذا موضوع لاهوتـي شـائك انقسـمت فيه المواقف . فمنهم من قال إن عودة المسيح شـخصيا إلـى الأرض سـتكون قبـل إقامـة الملكوت الذي سيحكمه بنفسه مدة ألف سنة ، ومنهم من يقول إن عودة المسيح ستكون لاحقة لإعلان الإنجيل ، أما الموقف الثالث فيقول بأن لا ألفيـة علـى أسـاس أن العقيـدة الألفية تتأول رمزيا ولا تقبل بالتأويل الحرفي .

والاصطلاح الرابع : المسيح الدجال : أصحاب هذا الفكر يعتقدون أن التـاريخ سيتزايد فسـاده المتسـارع حتـى يحكـم المسـيح الدجـال العـالم ، أي الشـيطان الـذي سيحاول أن يحكم العالم بواسطة حكومة عالمية واحدة ، ربمـا اعتـبرت الأمـم المتحـدة عند بعضهم أو حلف شمال الأطلسي عند بعضهم الآخر ، وتذكر أسـماء شـخصيات كثيرة في هذا المجال .

أما الاصطلاح الخامس والأخير فـهو : الشـدائد وآخـر أيـام التـاريخ : فالقـائلون بنظرية القدرية والعقيدة الألفية والمسيح الدجال ضمن الفكر الإنجيلي يعتقدون أنـه مـع فساد الحيـاة علـى الأرض يـأتي زمـن الشـدائد أو حكـم الإرهـاب الـذي ينزلـه المسـيح الدجال بكل من لا ينقاد إلى طاعته ، ويهولون في أفكارهم هذا الموضوع ويعتمدون على بعض النصوص الـواردة فـي الكتـاب المقـدس ، مثـلا : سـفر دانيـال الإصحـاح السـابع والتاسع ، ورسالة بولس الرسـول إلـى أهـل تسـالونيكي الإصحاحـان الرابـع والخـامس ، وسفر الرؤيا . هذه بعض الأفكار التي أدت إلى نشـوء الصهيونيـة المسـيحية الأصوليـة ، فكما نلاحظ أن الفكر الرؤيوي هو أهم مرتكز لمعتقدات هذا التجمع .

وسفر دانيال النبي يحتوي على هذه الرؤيا اليهودية للأيام الأخيرة من العـالم ، والتفسير والشرح والاجتهاد بأقوال السيد المسيح والرسـول بولـس ، ومـا ورد فـي سـفر

الرؤيا هو الذي في نظرهم يربط العهد القديم بالعهد الجديد ، ففي العهد الجديد كل شيء يبدو واضحا بالنسبة إلى الصهيونية كفكر غزا العالم واستخدام آلات الحرب لدمار الإنسان ، وأيضا اليهودية تعد في نظر المسيحية قائمة بعد أن تحقق مجيء السيد المسيح .

أما موضوع العقيدة الألفية ، والمسيح الدجال ، والشدائد في الأيام الأخيرة ، فهذه كلها غير واردة في فكر المسيحيين الحقيقيين ، إذ يبدو واضحا أنه عندما طلب التلاميذ من المسيح أن يرد الملك إلى إسرائيل كان جوابه واضحا : (ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الله بسلطانه) (أع١ : ٦-٩) ، هذا الفكر الرؤيوي اليهودي تنامى في العصور الوسطى ، وأخذ يتبلور حول فكرة إحياء إسرائيل كيانا سياسيا ، ومنها القدرية والعقيدة الألفية ، والسبب الرئيسي وراء تنامي هذه الأفكار كان عندما انتشر تأويل الكتاب المقدس بين علماء اللاهوت وضعف دور الكنيسة المركزي ، فبدأت فئات مؤيدة لهذه الأفكار بالترويج لقصص العهد القديم والتركيز على نبوءات وردت فيه ، من هنا أخذت البدع تنتشر حول هذه النظريات وارتبطت السياسة بالدين ، وأصبح موضوع هذه التأويلات مصدر مناقشات في المحافل السياسية ، وظهر أعضاء مجلس العموم البريطاني يتحدثون علانية عن هذه الأفكار الجديدة ، حتى أن أحدهم وهو هنري وارموند عضو مجلس العموم البريطاني تخلى عن عمله السياسي بعد زيارة الأماكن المقدسة ، ونذر حياته لتعليم الأصولية المسيحية والكتابة عنها وعن صلتها بعودة اليهود إلى فلسطين . ولا أريد أن أعدد الأسماء الأخرى في هذا المجال ، ولكنني أشير إلى واحد من أشد الصهيونيين المسيحيين هو القس ويلين هشلر (١٨٤٥- ١٩٣١) ، والذي عمل في السفارة البريطانية في فيينا وكان من المؤيدين المتحمسين لأبي الصهيونية ثيودور هرتزل ، وهو الذي أتاح الدعم السياسي والاتصالات بـ (هرتزل) خلال المرحلة الحاسمة ، وبذلك نشط مساعيه في اللوبي من أجل القضية الصهيونية لمدة تناهز ثلاثين سنة ، وكان من أهم مهندسي وعد بلفور الذي صدر في العام ١٩١٧ والذي منح الصهاينة الفرصة التي كانوا يرجونها لخلق دولة يهودية في فلسطين .

(٤)

هكذا التقت أفكار المغالين في الشرح الحرفي للكتاب المقدس من المسيحيين، مع زعماء الصهاينة الذين استغلوا هذه التيارات المسيحية المتطرفة لصالح تشكيل دولة فلسطين، فحركة الكتاب المقدس والنبوءة التي امتدت من ١٨٦٧ حتى ١٩٢٠ دخلت في أذهان الناس البسطاء، لهذا عندما ظهر كتاب (ويليم أ. بلاكستون) في ١٨٨١ بعنوان: (المسيح آت) تلقفه القراء بارتياح، وبلاكستون كان من المنظمين الأوائل لـ (اللوبي الأميركي) المؤيد لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، وهو الذي أطلق حملة مكثفة لحشد التأييد من أعضاء في مجلس الشيوخ الأميركي، وقاضي القضاة في المحكمة العليا، وذلك بستة أعوام قبل المؤتمر الصهيوني الأول العالمي الذي عقده هرتزل.

وبعد بلاكستون نرى كيف أن العديد من رجالات الولايات المتحدة، بينهم رؤساء، يغرقون في تأييدهم لأفكار هرتزل.

وقبل وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت القدرية قد استولت على أدمغة الكثيرين في الولايات المتحدة الأميركية، ولم تكن الصهيونية المسيحية حركة ولا نظاما لاهوتيا متكاملا في دوائر الإنجيليين أو الأصوليين الأميركيين حتى أواسط السبعينيات، ولكن بعد نشأة إسرائيل في عام ١٩٤٨ نمت الصهيونية المسيحية نموا متزايدا في عقول المتطرفين، وظهر في الولايات المتحدة الأميركية من روج لها بطريقة حماسية، مثلا: بعد استيلاء اليهود على القدس سنة ١٩٦٧ كتب نيكسون بيل وهوحمر بيلي غراهام الذائع الصيت في صحيفة إنجيلية شهيرة **Christian Today** مايلي:

إن وقوع القدس اليوم وللمرة الأولى منذ ألفي سنة ونيف في أيدي اليهود ليهز دارس الكتاب المقدس ويمنحه إيمانا متجددا في دقة الكتاب المقدس وصحته.

بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ظهرت عوامل كثيرة شجعت على نمو الفكر الصهيوني المسيحي الأصولي أذكرها باختصار:

١- وصول مناحيم بيغن على رأس كتلة الليكود في عام ١٩٧٧ مستندا إلى برنامج الصهيونية التصحيحية التي تستعمل بعض المفاهيم التوراتية .

٢- التعاون الكلي بين اللوبي الإسرائيلي والمسيحيين الصهاينة الأصوليين واستغلالهم لتأييد إسرائيل .

٣- انتخاب جيمي كارتر وهو من جماعة (المولودين ثانية : born Again) ومعلم في مدرسة الأحد في ولاية جورجيا رئيسا للولايات المتحدة ، واعتماده في الانتخابات على أصوات الإنجيليين والأصوليين .

٤- التعاون الوثيق بين اللوبي الإسرائيلي والصهاينة المسيحيين في نشر الإعلانات تأييدا لإسرائيل ، واهتمامهم بالإعلام الذي استثمروه لبث أفكارهم وتحقيق أهدافهم .

وبعد انتخاب رونالد ريغن ، الذي كان ملتزما باللاهوت القدري ، نمت قوى الصهاينة المسيحيين لأن ريغن نفسه أيد بشكل سافر إسرائيل وعدوانها على الفلسطينيين والعرب ، وهو الذي قال في تشرين الأول ١٩٨٣ لزعيم اللوبي الإسرائيلي (توم داين) :

أتعلم ، إنني ألتفت إلى قدامى أنبياء العهد القديم ، وإلى العلاقات المنبئة بمعركة (آر مجدون) ، ثم أجدني متسائلا هل نحن الجيل الذي سوف يشهد وقوع تلك الواقعة . لا أدري إن كنت قد لاحظت أيا من هذه النبوءات مؤخرا ، ولكن صدقني إنها تصف حقا الأيام التي تمر بنا .

وهذا الكلام نشرته الصحافة الأميركية ، وملخص الكلام أن الفكر القدري التزمه الكثيرون من رؤساء الولايات المتحدة الأميركية نتيجة اعتمادهم على أصوات الناخبين من اليهود وأنصارهم ، ومنهم تجمعات الصهاينة المسيحيين الأصوليين والإنجيليين المتطرفين .

إن ما يعرف بـ (السفارة المسيحية الدولية) في القدس التي تعلن نفسها مؤسسة صهيونية مسيحية ، قد فتحت أبوابها في القدس الغربية في ٣٠ أيلول ١٩٨٠ ، في

احتفال حضره تيري كوليك رئيس بلدية القدس وممثلون عن حكومة بيغن ، غايتها الأساسية هي أن تكسب دعم مسيحيي العالم لتأييد سياسات إسرائيل ، وقد ظهرت أفكارها في كراريس أختار منها المقطع التالي :

عندما خرجت فكرة السفارة المسيحية الدولية بالقدس إلى الوجود كانت معنية بالاهتمامات التالية : الاعتناء بالشعب اليهودي ولاسيما بدولة إسرائيل الوليدة وما ينطوي عليه ذلك من نصرة اليهود عندما يعتدى عليهم أو يتعرضون للتمييز العدائي ، ودعم إسرائيل لتعيش بسلام وأمن ، الاهتمام بالقدس من كل نواحيها لكي تصبح القدس يوما تسبيحة للأرض كلها وبشيرة بيوم جديد للبشر كلهم ، الاهتمام بأن يكون جسد المسيح على مدى العالم كله جيد الاتصال بإسرائيل في المواساة والمحبة والصلاة من أجل رفاهيتها ، الاهتمام بالأمم التي ستكون مصائرها متزايدة الارتباط بالطريقة التي تصلها بإسرائيل ، الاهتمام والاستعداد لمجيء السيد .

وهذه السفارة لها نشاط مميز في الولايات المتحدة الأميركية وكندا وإنكلترا وهولندا وألمانيا وسويسرا والنرويج وفنلندا واستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا ، وقد فتحت لها في هذه البلدان فروعا تدعى (القنصليات) ، وهي التي أشرفت على المؤيدين للصهاينة المسيحيين الذين سبق الحديث عنهم في بداية هذا الكلام .

(٥)

❖خاتمة

بعد هذا العرض السريع لتجمع تسيس بكل أهدافه وأعماله ، واستعمل هذا التجمع المسيحية غطاء له لاستغلال البسطاء من المسيحيين في الغرب بصورة خاصة لتحقيق الأهداف المرسومة له لخدمة إسرائيل ، نتأكد من أن قضية هذا التجمع ليست دينية فقط ، بل هي دينية- سياسية استغل فيها الدين بشكل واضح .

❋ماذا علينا من واجبات تجاه تجمعات مثل تجمع الصهاينة المسيحيين؟

١ - إن دور المسيحيين في الشرق وهم ينتمون إلى كنائس أصيلة وُلدت ونمت وترعرعت في هذه البلاد يبقى كبيراً ، خاصة في التعاون مع الكنائس الموجودة في الغرب ، إذ إن صوت المسيحيين الشرقيين يمكن أن يؤثر كثيراً في الفكر المسيحي في الغرب ، وهذا ما حصل في أكثر من حقبة من تاريخنا المشترك ، فكنائسنا في هذا الشرق لم تسيس الدين بكل مراحلها ، ولم تسمح في أن تُستغل سياسياً من أجل أهداف أو أغراض تخدم شعوباً ودولاً غريبة عن المنطقة .

٢ - أن يهتم المسلمون في بلادنا بنشاطات الصهاينة المسيحيين الشرقيين ليعوا دورهم المشترك في فضح أعمال رسل تلك الجماعات المتصهينة ، فالعيش المشترك والإخاء الديني والوحدة الوطنية تبقى من المبادئ المهمة التي تجمع مسلمين ومسيحيين في بلد واحد من أجل خدمة الوطن والإنسان . والخطر القادم من مخططات الصهاينة المسيحيين الوافدين بأفكار استعمارية إلى بلادنا لا يتوخى الإساءة إلى المسيحيين الشرقيين فحسب ، وإنما إلى كل المواطنين دون تمييز في الدين أو المذهب أو الانتماء الذي إليه ينتسبون .

٣ - تحتاج المنطقة إلى نشر الأفكار المناهضة لمخططات الصهاينة المسيحيين وغيرهم ، وذلك عن طريق الإعلام المرئي والمسموع والمقروء ، ومواطننا قد يستغل من قبل فئات تأتي إلى المنطقة بثياب الحملان فيدخل في شراك أولئك الناس ، وبعد فترة وجيزة يستغل استغلالاً كاملاً لضرب المجتمع بالأفكار السامة التي يحملها ضد الوطن والإنسان ، إذن عملية الوعي هي مفروضة على الجميع لاستبعاد أفكار خاطئة لتيارات معادية تأتي إلى المنطقة تحت ستار الدين .

٤ - إن عملية التعبئة اللازمة ضد التيارات المعادية ، سواء كانت دينية أو سياسية ، تحتاج إلى عقد ندوات ومؤتمرات على مختلف الأصعدة ، لأن المنطقة محاطة بالمخاطر وفي كل يوم يطلع علينا الإعلام في الغرب بأخبار كاذبة غايتها النيل من كرامتنا ، فهذه الندوات واللقاءات أو المؤتمرات تفضح مخططات المسيئين إلينا من ناحية وتوجه رسالة إلى العالم تقول فيها الحقيقة كما هي على أرض الواقع .

٥ – أن تشارك بلداننا في الندوات واللقاءات والمؤتمرات خارج القطر مشاركة فعالة ، ويستغل ممثلون في هذه المؤتمرات كل فرصة سانحة لقول كلمة الحق خدمة للإنسان والوطن .

٦ – أن يعمل المسيحيون والمسلمون معاً لنقل مبادئ العيش المشترك والإخاء الديني والوحدة الوطنية إلى الإعلام في الغرب ، وهذه نقطة مهمة عادة يستغلها الصهاينة المسيحيون ويبثون من خلالها أفكارهم السامة من خلال الإعلام في الغرب .

٧ – وأخيراً وليس آخراً أن يلعب المسيحيون دوراً أكبر من خلال مجلس كنائس الشرق الأوسط لإيصال صوتهم إلى كل المحافل المسكونية والسياسية ، وذلك من خلال إيفاد مندوبين إلى الكنائس في الغرب من جهة ، وإصدار البيانات المعبرة عن وجهة نظر المسيحيين في كل القضايا المهمة التي تدور في المنطقة من جهة أخرى .

وأشير في ختام كلامي إلى عبارات وردت على لسان هذا المجلس كردّ على المؤتمر الصهيوني المسيحي الذي عقدته سفارة الفاتيكان في نيسان ١٩٨٥ :

إننا إذ نعي مسؤولياتنا تجاه المسيحيين والرأي العام العالمي ، نؤكد أن هذا المؤتمر قد اتسم بسمة سياسية مكشوفة على الرغم من عدد الإشارات الدينية ، وندين سوء استعمال الكتاب المقدس والتلاعب بمشاعر المسيحيين في محاولة لتقديس إنشاء دولة من الدول وتسويغ سياسات حكومتها .

❖ ❖ ❖

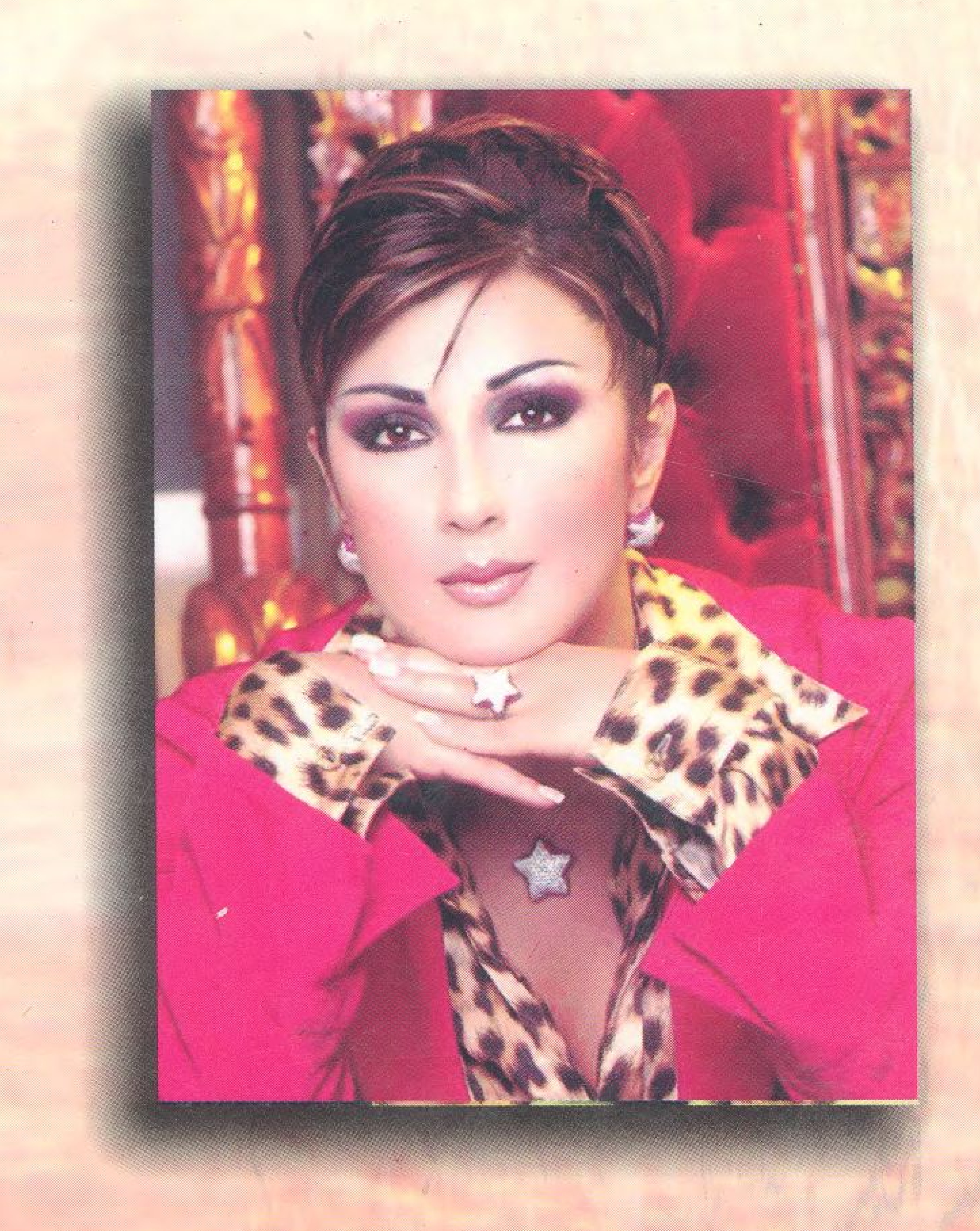
الفهرس العام

«محتويات الكتاب»

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

❖ ❖ ❖



- ❖ ولدت في زحلة - لبنان عام ١٩٧٤.
- ❖ تنتمي إلى أسرة أدت دوراً في الحياة الفكرية والأدبية في لبنان والوطن العربي، وقد تأثرت بالناتج الثقافي والفكري لكتّاب وأدباء وسياسي الأسرة في الوطن والمَهجر.
- ❖ أنهت دراستها الثانوية في ثانوية راهبات العائلة المقدسة. التحقت بالجامعة اللبنانية كلية العلوم الاجتماعية. حازت دبلوماً في الدراسات العليا بعنوان

  (إلغاء الطائفية السياسية بين المؤيدين والمعارضين)

  وعززت فكرة الأطروحة بمقالات وأبحاث ومحاضرات في لبنان والدول العربية.
- ❖ تحضر رسالة دكتوراه في علم الاجتماع موضوعها أسباب وتداعيات سقوط النظام العراقي.
- ❖ من مؤلفاتها (إمرأة تبحث عن وطن)، (التاريخ السياسي لآل الهراوي)، (إلغاء الطائفية السياسية)
- ❖ تعد وتقدم البرنامج السياسي (بلا رقيب) على شاشة **NewTV** الذي استضاف أكثر من ٤٠٠ شخصية عربية وغربية من رؤساء جمهوريات وحكومات ووزراء على مدى أكثر من ١٥٠
- ❖ صاحبة شركة الخليج للطباعة والنشر والتي تصدر عنها (مجلة مرآة الخليج). اقتصا اجتماعية - ثقافية - ومجلة بنكو وغيرها من النشاطات الإعلامية والإعلانية.
- ❖ تكتب في العديد من الصحف والمجلات ومنها صحيفة (الثورة) - مجلة (الأزمنة).
- ❖ مستشارة سياسية لموقع شام برست الإلكتروني.